



ISSN 2518-5624

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾

سورة البقرة: ٢٠٧

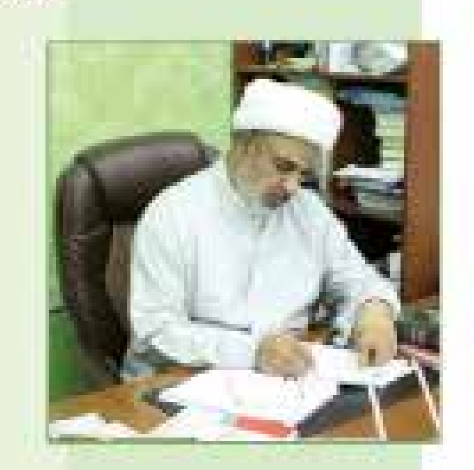
ربيع الأول ١٤٣٨
كانون الثاني ٢٠١٦



الاشراف العام/رئيس التحرير
الشيخ علي الفتلاوي
سكرتير التحرير
محمد رزاق صالح
هيأة التحرير
السيد صفوان جمال الدين
الشيخ محمد فاضل محمد
التدقيق اللغوي
أ.خالد جواد العلواني
ضياء قاسم
التصميم والاخراج الفني
السيد علي ماميثة




إصدار قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق -وزارة الثقافة لسنة ٢٠٠٩-١٢١١
هاتف: ٣٢٦٤٩٩-بدالة: ٣٢١٧٧٦-داخلي: ٢٤٢
موقع العتبة
www.imamhussain.org
موقع القسم
www.imamhussain-lib.org
بريد القسم
info@imamhussain-lib.org



الصادق لقب النورين

الصدق فضيلة أكد الإسلام على التحلي بها لما لها من أهمية في سير الحياة الصحيحة.

فلذا جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً﴾. [المائدة:١١٩]

وقد ورد عن أهل البيت عليهم السلام روايات كثيرة ومستفيضة في هذا الخصوص، فعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «إلزموا الصدق فإنهُ منجاة». (إكمال الدين:١٢٥)

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «لا تغتروا بصلاتهم ولا بصيامهم فإن الرجل ربما لهج بالصلاة والصوم حتى لو تركه استوحش ولكن اختبروهم عند صدق الحديث وأداء الأمانة». (الكافي:٢/١٥٤)

وصدق الحديث صفة يحتاج الداعي إلى الله تعالى في أقواله، والأمانة صفة يحتاجها الداعي في أفعاله، ولولا هاتان الصفتان لما كان للداعي أي تأثير في نفوس الناس ولهذا صارت صفة الصدق من أشهر صفات النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم حتى لقب بالصادق الأمين، ولذا لم يجد المشركون ما يتهمون به النبي صلى الله عليه وآله وسلم عندما أخبرهم عن السماء، إلا قولهم بأنه ساحر، ولم يستطيعوا أن يقولوا كذاب حاشاه من ذلك لأنَّه اشتهر بينهم بأنه الصادق الأمين.

وكذلك ولده جعفر بن محمد اشتهر بالصادق لأنَّه الامتداد الطبيعي للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فهو داع أيضاً يدعو إلى سبيل ربه بالحق بخلاف جعفر ادعى ما ليس له، فلقب بالصادق تحرزاً من الخلط بينه وبين جعفر الكذاب الذي يأتي بعده فيدعي ما ليس له ويفتري على غيره.

فصار لقب الصادق لهذين العظمين لحكمة ربانية مع أنّنا نعلم أن اهل البيت عليهم السلام كلهم صادقون.

المشرف العام



عظمة المصائب الحسينية

إنّ المصائب والرزايا التي جرت على سيد الشهداء عليه السلام لا تقاس بأيّ مصيبة جرت على غيره، إلاّ ما جرى على أمير المؤمنين والزهراء فاطمة عليهما السلام.

كذلك المصائب التي جرت على سيد الأنام وخاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وآله وسلم فإنّها بحق مصائب عظيمة ورزايا لا يتحمّلها إلاّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

وذلك لتوضيح ما تحمله النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم من المصائب والرزايا.

فمن غيره صلى الله عليه وآله وسلم يستطيع تحمّل الهجوم على دار روحه التي بين جنبيه؟ وكذلك من مثل أمير المؤمنين علي عليه السلام يصبر على ظلم الأعداء الذين جرت عداوتهم حتى على الجنين في بطن أمّه؟

فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْفَضْلِ الْهَاشِمِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام: يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ كَيْفَ صَارَ يَوْمُ عَاشُورَاءَ يَوْمَ مُصِيبَةٍ وَغَمٍّ وَحُزْنٍ وَبُكَاءٍ دُونَ الْيَوْمِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وَالْيَوْمِ الَّذِي مَاتَتْ فِيهِ فَاطِمَةُ وَالْيَوْمِ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وَالْيَوْمِ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ الْحَسَنُ بِالسَّمِّ فَقَالَ عليه السلام: «إِنَّ يَوْمَ الْحُسَيْنِ أَعْظَمُ مُصِيبَةً مِنْ جَمِيعِ سَائِرِ الْأَيَّامِ وَذَلِكَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكِسَاءِ الَّذِينَ كَانُوا أَكْرَمَ الْخَلْقِ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ كَانُوا خَمْسَةً فَلَمَّا مَضَى عَنْهُمُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله بَقِيَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ فَكَانَ فِيهِمْ لِلنَّاسِ عَزَاءٌ وَسَلْوَةٌ فَلَمَّا مَضَتْ فَاطِمَةُ كَانَ فِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ لِلنَّاسِ عَزَاءٌ وَسَلْوَةٌ فَلَمَّا مَضَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام كَانَ لِلنَّاسِ فِي الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عَزَاءٌ وَسَلْوَةٌ فَلَمَّا مَضَى الْحَسَنُ كَانَ لِلنَّاسِ فِي الْحُسَيْنِ عَزَاءٌ وَسَلْوَةٌ فَلَمَّا قُتِلَ الْحُسَيْنُ لَمْ يَكُنْ بَقِيَ مِنْ أَصْحَابِ الْكِسَاءِ أَحَدٌ لِلنَّاسِ فِيهِ بَعْدَهُ عَزَاءٌ وَسَلْوَةٌ فَكَانَ ذَهَابُهُ كَذَهَابِ جَمِيعِهِمْ كَمَا كَانَ بَقَاؤُهُ كَبَقَاءِ جَمِيعِهِمْ فَلِذَلِكَ صَارَ يَوْمُهُ أَعْظَمَ الْأَيَّامِ مُصِيبَةً». (وسائل الشيعة:١٤/٥٠٣)

إنّ الإمام الصادق عليه السلام ينص على أنّ وجود سيد الشهداء عليه السلام كوجود أصحاب الكساء كلهم، حتى وإن كانوا قد رحلوا عن هذه الدنيا. فهذه خصوصية للإمام الحسين عليه السلام.

إذا قرأنا سيرة الإمام الحسين عليه السلام وفكّرنا في المصائب التي وقعت في طريقه صلوات الله وسلامه عليه نرى وجود رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين وفاطمة الزهراء عليهما السلام والحسن صلوات الله وسلامه عليه مع الإمام الحسين يسيرون في المنهج نفسه، إلاّ أنّه قد تختلف الوسائل والطرق في تحصيل الهدف.



وهناك روايات كثيرة تحثّ على تحمّل المصائب في طريق الإمام الحسين عليه السلام، وقد وردت في كتاب كامل الزيارات بتفاصيلها نذكر منها:

عَنِ الأَصَمِّ قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ سَالِمٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ قَالَ: أَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ: يَا بْنَ رَسُولِ اللهِ هَلْ يُزَارُ وَالِدُكَ؟ قَالَ: فَقَالَ عليه السلام: «نَعَمْ وَيُصَلَّى عِنْدَهُ»، وَقَالَ عليه السلام: «يُصَلَّى خَلْفَهُ وَلاَ يُتَقَدَّمُ عَلَيْهِ»، قَالَ: فَمَا لِمَنْ أَتَاهُ؟ قَالَ عليه السلام: «الْجَنَّةُ إِنْ كَانَ يَأْتَمُّ بِهِ»، قَالَ: فَمَا لِمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ؟ قَالَ عليه السلام: «الْحَسْرَةُ يَوْمَ الْحَسْرَةِ»، قَالَ: فَمَا لِمَنْ أَقَامَ عِنْدَهُ؟ قَالَ عليه السلام: «كُلُّ يَوْمٍ بِأَلْفِ شَهْرٍ»، قَالَ: فَمَا لِلْمُنْفِقِ فِي خُرُوجِهِ إِلَيْهِ وَالْمُنْفِقِ عِنْدَهُ؟ قَالَ عليه السلام: «دِرْهَمٌ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ»، قَالَ عليه السلام: «فَمَا لِمَنْ مَاتَ فِي سَفَرِهِ إِلَيْهِ»، قَالَ عليه السلام: «تُشَيِّعُهُ الْمَلاَئِكَةُ وَتَأْتِيهِ بِالْحَنُوطِ وَالْكِسْوَةِ مِنَ الْجَنَّةِ وَتُصَلِّي عَلَيْهِ إِذْ كُفِّنَ وَتُكَفِّنُهُ فَوْقَ أَكْفَانِهِ وَتَفْرُشُ لَهُ الرَّيْحَانَ تَحْتَهُ وَتَدْفَعُ الأَرْضَ حَتَّى تَصَوَّرَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ مَسِيرَةَ ثَلاَثَةِ أَمْيَالٍ وَمِنْ خَلْفِهِ مِثْلَ ذَلِكَ وَعِنْدَ رَأْسِهِ مِثْلَ ذَلِكَ وَعِنْدَ رِجْلَيْهِ مِثْلَ ذَلِكَ وَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَى قَبْرِهِ وَيَدْخُلُ عَلَيْهِ رُوحُهَا وَرَيْحَانُهَا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»، قُلْتُ: فَمَا لِمَنْ صَلَّى عِنْدَهُ؟ قَالَ عليه السلام: «مَنْ صَلَّى عِنْدَهُ رَكْعَتَيْنِ لَمْ يَسْأَلِ اللهَ تَعَالَى شَيْئاً إِلاَّ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ»، قُلْتُ: فَمَا لِمَنِ اغْتَسَلَ مِنْ مَاءِ الْفُرَاتِ ثُمَّ أَتَاهُ؟ قَالَ عليه السلام: «إِذَا اغْتَسَلَ مِنْ مَاءِ الْفُرَاتِ وَهُوَ يُرِيدُهُ تَسَاقَطَتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»، قَالَ: قُلْتُ: فَمَا لِمَنْ يُجَهِّزُ إِلَيْهِ وَلَمْ يَخْرُجْ لَعَلَّهُ تُصِيبُهُ [لقلّة نصيبه]؟ قَالَ عليه السلام: «يُعْطِيهِ اللهُ بِكُلِّ دِرْهَمٍ أَنْفَقَهُ مِثْلَ أُحُدٍ مِنَ الْحَسَنَاتِ وَيُخْلَفُ عَلَيْهِ أَضْعَافَ مَا أَنْفَقَهُ وَيُصْرَفُ عَنْهُ مِنَ الْبَلاَءِ مِمَّا قَدْ نَزَلَ لِيُصِيبَهُ وَيُدْفَعُ عَنْهُ وَيُحْفَظُ فِي مَالِهِ». قَالَ: قُلْتُ: فَمَا لِمَنْ قُتِلَ عِنْدَهُ جَارَ عَلَيْهِ سُلْطَانٌ فَقَتَلَهُ؟ قَالَ عليه السلام: «أَوَّلُ قَطْرَةٍ مِنْ دَمِهِ يُغْفَرُ لَهُ بِهَا كُلُّ خَطِيئَةٍ وَتُغْسَلُ طِينَتُهُ الَّتِي خُلِقَ مِنْهَا الْمَلاَئِكَةُ حَتَّى تَخْلُصَ كَمَا خَلَصَتِ الأَنْبِيَاءُ الْمُخْلَصُونَ وَيَذْهَبُ عَنْهَا مَا كَانَ خَالَطَهَا مِنْ أَجْنَاسِ طِينِ أَهْلِ الْكُفْرِ وَيُغْسَلُ قَلْبُهُ وَيُشْرَحُ صَدْرُهُ وَيُمْلأُ إِيمَاناً فَيَلْقَى اللهَ وَهُوَ مُخْلَصٌ مِنْ كُلِّ مَا تُخَالِطُهُ الأَبْدَانُ وَالْقُلُوبُ وَيُكْتَبُ لَهُ شَفَاعَةٌ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ وَأَلْفٍ مِنْ إِخْوَانِهِ وَتَوَلَّى الصَّلاَةَ عَلَيْهِ الْمَلاَئِكَةُ مَعَ جَبْرَئِيلَ وَمَلَكِ الْمَوْتِ وَيُؤْتَى بِكَفَنِهِ وَحَنُوطِهِ مِنَ الْجَنَّةِ وَيُوَسَّعُ قَبْرُهُ عَلَيْهِ وَيُوضَعُ لَهُ مَصَابِيحُ فِي قَبْرِهِ وَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنَ الْجَنَّةِ وَتَأْتِيهِ الْمَلاَئِكَةُ بِالطُّرَفِ مِنَ الْجَنَّةِ وَيُرْفَعُ بَعْدَ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ يَوْماً إِلَى حَظِيرَةِ الْقُدْسِ فَلاَ يَزَالُ فِيهَا مَعَ أَوْلِيَاءِ اللهِ حَتَّى تُصِيبَهُ النَّفْخَةُ الَّتِي لاَ تُبْقِي شَيْئاً فَإِذَا كَانَتِ النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ وَخَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ

كَانَ أَوَّلُ مَنْ يُصَافِحُهُ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وآله وَأَميرَ الْمُؤْمنينَ عليه السلام وَالأَوْصيَاءَ وَيُبَشِّرُونَهُ وَيَقُولُونَ لَهُ الْزَمْنَا وَيُقيمُونَهُ عَلَى الْحَوْض فَيَشْرَبُ منْهُ وَيَسْقي مَنْ أَحَبَّ»، قُلْتُ: فَمَا لمَنْ حُبسَ في إتْيَانه؟ قَالَ عليه السلام: «لَهُ بكُلِّ يَوْم يُحْبَسُ وَيَغْتَمُّ فَرْحَةٌ إلَى يَوْم الْقيَامَة فَإنْ ضُربَ بَعْدَ الْحَبْس في إتْيَانه كَانَ لَهُ بكُلِّ ضَرْبَة حَوْرَاءُ وَبكُلِّ وَجَع يَدْخُل عَلَى بَدَنه أَلْفُ أَلْف حَسَنَة وَيُمْحَى بهَا عَنْهُ أَلْفُ أَلْف سَيِّئَة وَيُرْفَعُ لَهُ بهَا أَلْفُ أَلْف دَرَجَة وَيَكُونُ منْ مُحَدِّثي رَسُول اللَّه صلى الله عليه وآله حَتَّى يَفْرُغَ منَ الْحسَاب فَيُصَافحُهُ حَمَلَةُ الْعَرْش وَيُقَالُ لَهُ سَلْ مَا أَحْبَبْتَ وَيُؤْتَى ضَاربُهُ للْحسَاب فَلاَ يُسْأَلُ عَنْ شَيْء وَلاَ يُحْتَسَبُ بشَيْء وَيُؤْخَذُ بضَبْعَيْه حَتَّى يُنْتَهَى به إلَى مَلَك يَحْبُوهُ وَيُتْحفُهُ بشَرْبَة منَ الْحَميم وَشَرْبَة منَ الْغسْلين وَيُوضَعُ عَلَى مثَال [مَقَال] في النَّار فَيُقَالُ لَهُ ذُقْ بمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ فيمَا آتَيْتَ إلَى هَذَا الَّذي ضَرَبْتَهُ سَبَباً إلَى وَفْد اللَّه وَوَفْد رَسُوله وَيَأْتي بالْمَضْرُوب إلَى بَاب جَهَنَّمَ وَيُقَالُ لَهُ انْظُرْ إلَى ضَاربكَ وَإلَى مَا قَدْ لَقيَ فَهَلْ شَفَيْتُ صَدْرَكَ وَقَد اقْتُصَّ لَكَ منْهُ فَيَقُولُ الْحَمْدُ للَّه الَّذي انْتَصَرَ لي وَلوُلْد رَسُوله منْهُ».(كامل الزيارات:١٢٣-١٢٥)

دروس من الحديث

لقد عمد حكام الجور أمثال المتوكل وهارون العباسي ممّ، غصبوا الخلافة بغير حقّ وادّعوا لقب أمير المؤمنين وهو اللقب الخاص بالإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بكل إمكانياتهم وطاقاتهم لمنع الشعائر الحسينية ومحاربتها بكل الأشكال المتاحة.

وها هم أحفاد بني أمية وبني العباس وحكام الجور الذين ظلموا أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحاربوا الأئمة الأطهار عليهم السلام في تعظيم شعائرهم، هم يحاربون شيعتهم في إحياء شعائر الله تعالى.

وقد ارتكب بنو أمية مأساة عاشوراء بتلك الوحشية ليتآمر أجلافهم على رقاب الأمة ويبعّد خط الحقّ والعدالة المتمثّل بخط أهل البيت عليهم السلام والقضاء عليه بشكل نهائي.

ولا نجاف الحقيقة إذا قلنا: إنّ بني أمية لم يكن لهم أن يظلموا أكثر من الظلم الذي قاموا به حيث جاوزوا كل الحدود والمقاييس في ظلمهم لأهل البيت عليهم السلام في يوم عاشوراء، ولو أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوصاهم بظلم عترته والجور عليهم بدل مودتهم لما استطاعوا إضافة شيء على ما اقترفوه.



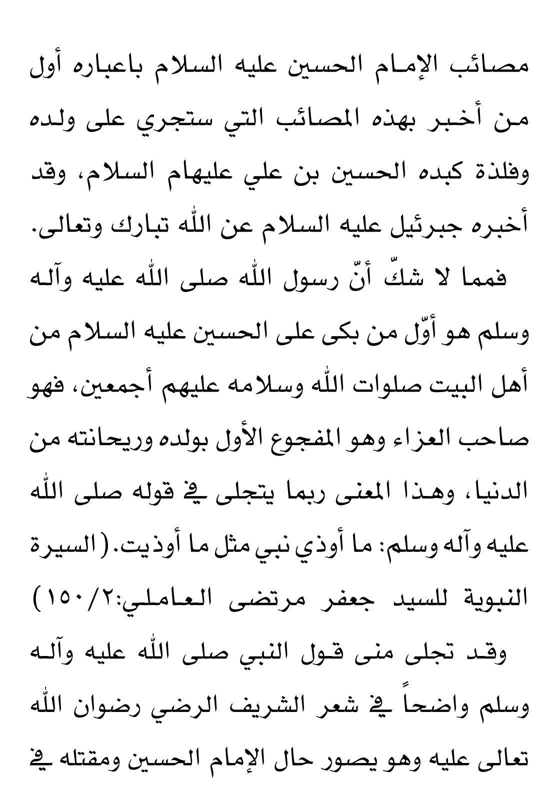
فقد صرّح الإمام الصادق عليه السلام أنّ الذي يسجن في طريق الإمام الحسين عليه السلام له في كل يوم فرحة إلى يوم القيامة، أمّا إذا ضرب فإنّ لكل ضربة له مقاماً وأجراً جزيلاً.

ولا شكّ أنّ لهذه الصعاب والمحن مراتب، فمن يصفع في طريق سيد الشهداء عليه السلام أربعة صفعات منزلته وقربه الإلهي أكثر ممّن يصفع في هذا الطريق ثلاث صفعات وهكذا.

الملفت للانتباه أنّ الإمام الصادق عليه السلام من بعد (الضرب) عبّر بـ(الوجع) ما يعني أنّ الذي يسجن في طريق الإمام الحسين عليه السلام قد لا يقتصر ما يتعرّض له على الضرب، بل تكون هناك تبعات وآثار

أخرى.

وهنا يعيّن الإمام عليه السلام أجراً وثواباً خاصاً لكل حالة من الألم والوجع التي يتعرّض لها محبي الإمام الحسين عليه السلام فقال عليه السلام: «فإذا كانت النفخة الثانية وخرج من قبره كان أول من يصافحه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام والأوصياء»، فهل يا ترى هناك منزلة أرفع وأسمى من ذلك؟!



تعظيم الشعائر وإسعاد قلب الزهراء عليها السلام

ومن ضمن ما قاله الإمام الصادق عليه السلام لأبي بصير: «...أَمَا تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ فِيمَنْ يُسْعِدُ فَاطِمَةَ عليها السلام...».(كامل الزيارات:٨٣)

ومنه يظهر أنّ هناك مسؤولية عظيمة تقع على عاتق الجميع وهي المشاركة الفعّالة في إقامة الشعائر والمآتم الحسينية وإحيائها بكل الأشكال وعدم التفريط بها، إذ إنّها تدخل السرور على قلب السيدة الزهراء عليها السلام.

ومن المؤكّد أنّ خدمة القضيّة الحسينية تدخل السرور والغبطة على قلوب كل المعصومين الأربعة عشر من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الإمام المهدي عليه السلام.

رمز مصائب سيد الشهداء عليه السلام

النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم هو رمز مصائب الإمام الحسين عليه السلام باعباره أول من أخبر بهذه المصائب التي ستجري على ولده وفلذة كبده الحسين بن علي عليهما السلام، وقد أخبره جبرئيل عليه السلام عن الله تبارك وتعالى.

فمما لا شكّ أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو أوّل من بكى على الحسين عليه السلام من أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فهو صاحب العزاء وهو المفجوع الأول بولده وريحانته من الدنيا، وهذا المعنى ربما يتجلى في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: ما أوذي نبي مثل ما أوذيت.(السيرة النبوية للسيد جعفر مرتضى العاملي:٢/١٥٠)

وقد تجلى منى قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم واضحاً في شعر الشريف الرضي رضوان الله تعالى عليه وهو يصور حال الإمام الحسين ومقتله في كربلاء وسبي عياله وسوقهم بأيدي الظالمين فيقول:

يا رسول الله لو عاينتهم
وهم ما بين قتلى وسبا

من رميض يمنع الظل ومن
عاطش يسقى انابيب القنا

متعب يشكو اذى السير على
نَقبِ المَنسِمِ، مَجزُولِ المَطَا

ليس هذا لرسول الله يا
امة الطغيان والبغي جزا

هاتفات برسول الله في
بُهَرِ السّعْيِ، وَعَثرَاتِ الخُطَى

لَوْ رَسُولُ اللَّهِ يَحْيَا بَعْدَهُ
قعد اليوم عليه للعزا

(بحار الأنوار:٤٥/٢٠٩)

شعبة الدراسات والبحوث/
عن مصادره بتصرف

من وصية الإمام الرضا عليه السلام للمسلمين

عندما نتذكّر الإمام الثامن من الأئمة الاثني عشر الإمام علي بن موسى الرضا صلوات الله وسلامه عليه، الذي ملأ العالم الإسلامي علماً وروحاً وخلقاً وزهادةً وحركة، نحتاج إلى التفكير والتدبير في سيرته العطرة وكذلك الأخذ من وصاياه وكلماته لنعتبر بها.

فإنّه صلوات الله وسلامه عليه يرانا ويسمع كلامنا ويردّ سلامنا لكن قد حجب عنّا سمعه وكلامه، فصحيح أنّه غاب عنا بجسده لكنه لم يغب بعلمه ووصاياه وسيرته المباركة، وقد أعطى للبشرية طريقة السلوك مع وجود المعوّقات وعدم التنازل عن المبادئ الأساسية للشريعة الإلهية، مهما كلّف الأمر. ففي بعض وصاياه عليه السلام للسيد عبد العظيم الحسني – وهو من أولاد الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليهما، ومقامه يزار في طهران وهو من العلماء الأعاظم في زمانه وكان الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم يقدّرونه، وكان ملتزماً بإمامة الأئمة – قد أرسل معه رسالة إلى أوليائه، فهي تمتد مع الزمن.

فالإمام الرضا عليه السلام يخاطب شيعته في كل زمان ومكان، لأنّ هذه الوصايا تتصل بكل الواقع الأخلاقي والاجتماعي لأتباع أهل البيت عليهم السلام، ولأنّها من الوحي الإلهي، فقال عليه السلام له:

«يَا عَبْدَ الْعَظِيم أَبْلِغْ عَنِّي أَوْلِيَائِيَ السَّلاَمَ، وَقُلْ لَهُمْ أَنْ لاَ يَجْعَلُوا لِلشَّيْطَانِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ سَبِيلاً، وَمُرْهُمْ بِالصِّدْقِ فِي الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ، وَمُرْهُمْ بِالسُّكُوتِ وَتَرْكِ الْجِدَالِ فِيمَا لاَ يَعْنِيهِمْ، وَإِقْبَالِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ وَالْمُزَاوَرَة، فَإِنَّ ذَلِكَ قُرْبَةٌ إِلَيَّ وَلاَ يَشْغَلُوا أَنْفُسَهُمْ بِتَمْزِيقِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً، فَإِنِّي آلَيْتُ عَلَى نَفْسِي إِنَّهُ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ وَأَسْخَطَ وَلِيّاً مِنْ أَوْلِيَائِي دَعَوْتُ اللهَ لِيُعَذِّبَهُ فِي الدُّنْيَا أَشَدَّ الْعَذَابِ وَكَانَ ﴿فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ وَعَرِّفْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ غَفَرَ لِمُحْسِنِهِمْ وَتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ، إِلاَّ مَنْ أَشْرَكَ بِهِ أَوْ آذَى وَلِيّاً مِنْ أَوْلِيَائِي أَوْ أَضْمَرَ لَهُ سُوءاً فَإِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ لَهُ حَتَّى يَرْجِعَ عَنْهُ، فَإِنْ رَجَعَ وَإِلاَّ نَزَعَ رُوحَ الإِيمَانِ عَنْ قَلْبِهِ وَخَرَجَ عَنْ وَلاَيَتِي، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ فِي وَلاَيَتِنَا وَأَعُوذُ بِاللهِ مِنْ ذَلِكَ».(الاختصاص:٢٤٧)

لقد جعل الله تبارك تعالى في الشريعة الإسلامية قوانينا للبشر، ليسيروا على ضوئها بالاتجاه الصحيح وليكملوا مسيرتهم إلى الهدف الذي خلقوا من أجه.

وقال عليه السلام: أبلغ عني أوليائي السلام ـ وعليك السلام يا سيدنا ومولانا يا أبا الحسن الرضا ـ أن يعرفوا خطوات الشيطان ووساوسه وحيله وألاعيبه وأن يعملوا على تفادي ذلك كله في سلوكهم الملي فيغلقوا كل النوافذ التي يمكن أن ينفذ منها إليهم ويسدوا كل الطرق التي يمكن أن يأتي لهم من خلالها.

وقال عليه السلام: لا تجعلوا له سلطةً عليكم، وأغلقوا كل طريق له إلى عقولكم وقلوبكم ـ ومرهم بالصدق في الحديث ـ كونوا صادقين، فإن أهل البيت عليهم السلام ساروا على خط جدهم الصادق الأمين ـ وأداء الأمانة.

وأداء الأمانة لأنّ الله يأمرنا أن نؤدي الأمانات إلى أهلها





سواء كان أهلها من الكافرين أو من المسلمين لأنّ أداء الأمانة هي التي تحافظ على توازن المجتمع سواء كانت أمانة سرٍ أو أمانة مسؤولية أو أمانة مالٍ.

وقال عليه السلام: ومرهم بالسكوت وترك الجدال في ما لا يعنيهم وإقبال بعضهم على بعض. فالمراد من السكوت هنا الصمت الذي ينطلق به الإنسان ليكفر لا صمت الغباء بل صمت الفكر لأنّ الإنسان إذا لم يعطِ نفسه فرصة للصمت والسكوت فإنه قد لا يجد فرصة للتفكير الصحيح.

وقال عليه السلام: وترك الجدال - فعندما يدخل المرء في جدال حول أمرٍ ما يختلف فيه مع الآخر فكراً ومنهجاً، فعليه أن يفكّر أنّ هذا الجدال هل هو من الأمور التي تتصل بالخطوط الأساسية للعقيدة أم لا، باعتبار أن عقيدة الإنسان هي مسؤولية فكره الذي سيحاسب المرء بسببه يوم الحساب، فإن لم يكن للجدال لاقة بالعقيدة ولا بالشريعة ولا بمسؤولية الفرد أمام الله، يكون هذا الجدال بمثابة طواحين الهواء التي تطحن وتطحن ويبقى الهواء هواءً.

وقال عليه السلام: وإقبال بعضهم على بعض - بأن يقبل المؤمن على المؤمن بعقله ليعطي النصيحة وبقلبه ليطي المحبة وبحياته ليعطي الطاقة - والمزاورة - بأني زور بعضهم بعضاً لأن ذلك يوحدّ الصف ويقوي الموقف.

وقال عليه السلام: ولا يشغلوا أنفسهم بعضهم بعضاً فإني آليت على أنه من فعل ذلك - بأن عمل على تمزيق الواقع الإسلامي والإيماني تحت أي اعتبار - وأسخط ولياً من أوليائي - بالإساءة إليه أو اتهامه بما ليس فيه وبغيبته وتشويه صورته وإسقاط موقه - دعوت الله ليعذبه في الدنيا أشد العذاب وكان في الآخرة من الخاسرين.

وهذه مسألة بحاجة إلى تأمل فلو دعا عليك شخص عادي فالأمر هيّن ولكن الإمام الرضا عليه السلام يقول أخذت عهداً أمام الله على نفسي أنهم إذا فعلوا ذلك ودمروا واقع المؤمنين ومجتمعهم بالتفرقة والبغضاء والحقد أن أدعو عليهم بأن يعذبهم الله أشد العذاب.. وبذلك فعلى من لديه أمراض نفسية أو مشكلة شخصية أو وضع فئوي معين أو حتى وضع عائلي خاص أن يعرف حاله قبل أن يزور الإمام الرضا عليه السلام أو ممن يرتضيه من أوليائه.

وقال عليه السلام: وعرفهم أن الله قد غفر لمحسنهم - عندما ينطلقون من قاعدة الإسلام وقاعدة الخط الأصيل وهو خط الولاية - وتجاوز عن مسيئهم إلاّ من أشرك به أو آذى ولياً من أوليائي أو أضر له سوءاً فإن الله لا يغفر له حتى يرجع عنه - أي عندما تعود القلوب مفتوحة على المحبة لعبضهم البعض وإلا فينزع الله روح الإيمان عنه، ويخرج من ولاية أهل البيت عليهم السلام ولم يكن له نصيب فيها، نستجير بالله من ذلك.

وهذه مسألة تعطينا صورة عن واقعنا فالبعض ومن باب التبرير أو حب الذات يدخل فيما يحذر منه الإمام الرضا عليه السلام ونعوذ بالله العلي العظيم من ذلك.

شعبة الدراسات والبحوث/
عن مصادره بتصرف

أهل البيت عليهم السلام والقرآن

الإمام علي نفس النبي صلوات الله وسلامه عليهما

إن الأئمة عليهم السلام عين حقيقة القرآن، وهذا معنى عدم افتراق القرآن عن العترة، أي عدم افتراق حقيقة القرآن التكوينية وهو الكتاب المكنون وهو الروح الأعظم عن ذوات العترة المطهّرة، بل هو أحد أرواحهم الذي يسدّدهم.

وهذا معنى تنزيل نفس عليّ عليه السلام منزلة نفس النبي صلى الله عليه وآله في قوله تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾، كيف لا والروح الأمري الذي هو الروح الأعظم والذي هو حقيقة القرآن وهو الكتاب المبين الذي نُزّل على قلب النبيّ صلى الله عليه وآله وأُوحي إليه قد ورثه الوصيّ ويتنزّل عليه وعلى ذرّيته الأوصياء عليهم السلام.

ففي صحيح أبي بصير قال: (سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ قال: «خلق من خلق الله عزّ وجلّ أعظم من جبرئيل وميكائيل كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله يخبره ويسدده وهو مع الأئمّة من بعده»).

وفي رواية أبي حمزة قال: (سألت أبا عبد الله عليه السلام عن العلم، أهو علم يتعلّمه العالم من أفواه الرجال، أم في الكتاب عندكم تقرؤونه فتعلمون منه؟ قال: «الأمر أعظم من ذلك وأوجب، أما سمعت قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ..﴾»).

ولاية علي عليه السلام أصل في الدين

إنّ جملة ما ورد من آيات قرآنية في ولاية عليّ وولده عليهم السلام وإمامتهم، وكذلك ما ورد من أحاديث نبويّة متواترة ومستفيضة في ذلك، دالّ على أخذ ولايتهم وإمامتهم أصلاً إيمانياً قوامياً في الاعتقاد، كما أشبع ذلك علماء الإمامية ومتكلّموهم في كتبهم، وهذا يقتضي أخذ ولايتهم وإمامتهم ركناً من أركان الدين الحنيف لا أنها فريضة في تفاصيل الشريعة.

ويعزّز هذه الحقيقة قوله تعالى في آية الغدير: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

ومفادها اللآية إجمالاً:

إنّ الذي بلغه النبيّ صلّى الله عليه وآله في ذلك اليوم من أخذ البيعة لعليّ عليه السلام في غدير خم من المسلمين، بها يتحقّق كمال الدين، وهو الإسلام وهو الركن الركين لرضا الربّ لدين الاسلام، فبيّنت الآية أنّ ولايته وولاية ولده عليهم السلام مأخوذة ركناً في الدين، لا فريضة فرعية في



تفاصيل الشريعة.

وثمّة وجه التعبير بأنّها (كمال الدين) ولم يعبّر أنّها (تمام الدين أي الفرق بين الكمال والتمام كما يعزّز هذه الحقيقة قوله تعالى في آية الغدير الثانية وهي: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.[]

حيث جعل الباري تعالى تبليغ النبيّ صلّى الله عليه وآله لبقية أجزاء الدين وللشريعة في طرف وتبليغه لما اُمر به في يوم الغدير من حجّة الوداع في سورة المائدة في طرف آخر، وهذا ممّا يقضي بكون ولايته وإمامته هي بتلك المكانة في الشأن والأهميّة في الدين، أي من الأصول الاعتقادية، فهي من الأركان في الدين الحنيف، لا من التفاصيل الفرعية في الشريعة.

وهذا هو مفاد آية المودّة أيضاً في قوله تعالى: ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾، حيث جعل الباري تعالى مودّتهم في كفّة والرسالة في كفّة اُخرى، سواء رجع ضمير (عليه) إلى الدين أو إلى جهده صلّى الله عليه وآله في تبليغ الدين؛ فإنّ المآل واحد، حيث إنّ قيمة العمل وأجرته هي بقيمة نتيجة العمل وهو الدين، فإذا قوبلت مودّتهم ببقية أجزاء الدين برمّتها اقتضى ذلك كون مودّتهم هي الركن الركين في الدين، وعليه يظهر أنّ ولايته عليه السلام وولده المطهرين هي تتلو نبوّة خاتم الرسل في الموقعية فهي من الأركان الثابتة في الدين الحنيف وهو الإسلام.

وقد تبيّن مما مضى أنّ الدين واحد وهو الذي بعث به جميع الانبياء والرسل وهو أمر لا نسخ فيه ولا تبديل، كما قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ * وَمَا تَفَرَّقُوا إِلاّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ﴾.[]

فبيّن تعالى أنّ الدين الذي بُعث به الانبياء وأُولو العزم واحد، لم يتفرّقوا فيه، وإنّ تفرّق أتباعهم ليس من الدين في شيء، وإنّما هو لبغي الأتباع والأقوام.

ويتّضح من ذلك، أنّ جميع الانبياء والرسل بُعثوا على الإقرار برسالة خاتم النبيّين ومحبّة قرباه وولاية أهل بيته عليهم السلام.

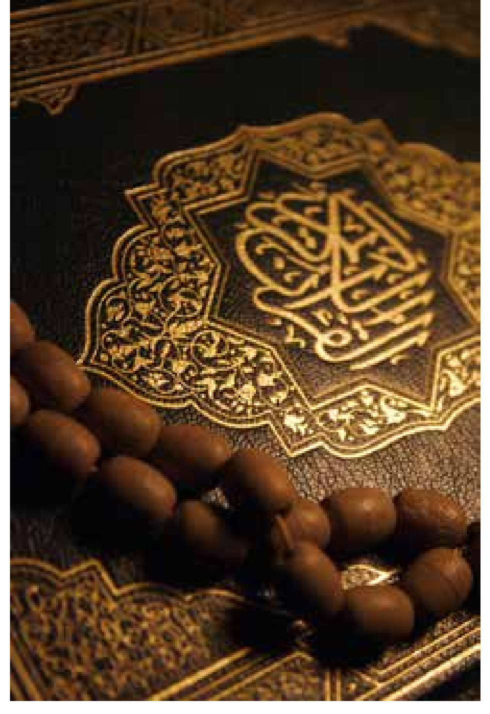
معية الثقلين

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «فَيَا عَجَباً وَمَا لِيَ لاَ أَعْجَبُ مِنْ خَطإِ هَذِه الْفِرَقِ عَلَى اخْتِلاَفِ حُجَجِهَا فِي دِينِهَا لاَ يَقْتَصُّونَ أَثَرَ نَبِيٍّ ولاَ يَقْتَدُونَ بِعَمَلِ وَصِيٍّ ولاَ يُؤْمِنُونَ بِغَيْبٍ ولاَ يَعِفُّونَ عَنْ عَيْبٍ يَعْمَلُونَ فِي الشُّبُهَاتِ وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ الْمَعْرُوفُ فِيهِمْ مَا عَرَفُوا والْمُنْكَرُ عِنْدَهُمْ مَا أَنْكَرُوا مَفْزَعُهُمْ فِي الْمُعْضِلاَتِ إِلى أَنْفُسِهِمْ وتَعْوِيلُهُمْ فِي الْمُهِمَّاتِ عَلَى آرَائِهِمْ كَأَنَّ كُلَّ امْرِئٍ مِنْهُمْ إِمَامُ نَفْسِه قَدْ أَخَذَ مِنْهَا فِيمَا يَرَى بِعُرًى ثِقَاتٍ وأَسْبَابٍ مُحْكَمَاتٍ».

يشير عليه السلام في هذا المقطع من كلامه الشريف إلى برهان لطيف دال على معية الثقلين ومحالية انفكاكهما، وهو أنّ الأدلة والبراهين على إمامة علي والأئمة من ولده بنفسها دالة على ضرورة معية الكتاب

والعترة لأنَّ لازم الاعتقاد بحقيقة الإمامة أن يكون الإمام هو المعلم الإلهي لهذا الكتاب الإلهي، وإلا كان الإنسان المستغني بنفسه المستبد بفكره وعقله المحدود هو إمام نفسه، فهو لا يتبع الإمام المنصوب من السماء كحبل ممدود من عند الله إلى الأرض، فالإنفراد بحدود فكر المرء لنفسه هو جعله نفسه إماماً لنفسه بمحدودية فكر محصور على قدرته من المعلومات المحبوسة عن الآفاق اللامتناهية الغيبية.

فمعنى الإمامة الإلهية هو ضرورة القناة الإلهية الرابطة لنا بالسماء وعدم استطاعتنا من أنفسنا أن نرتقي بسلم القرآن من دون الإمام المنصوب في القرآن لإيصال البشر والسير بهم في هذا السفر السماوي العلوي إلى أبواب الآخرة وطلائع القيامة من عوالم ذات أهوال وعظائم وعقبات ومواقف.

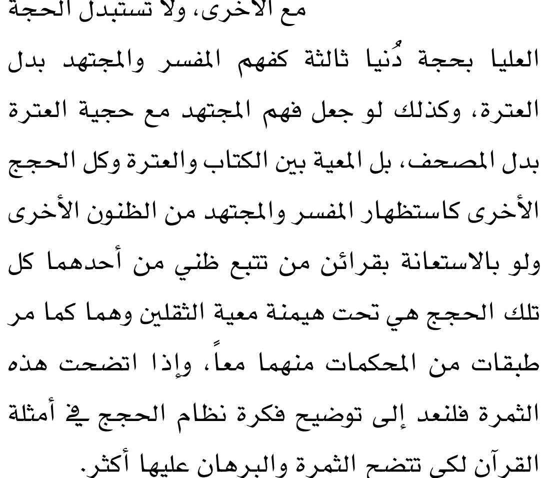


إنَّ عظمة القرآن عظمة لا تتحدد بآفاق بشرية، لما من عظمة آفاق بحار النور وزخات الضياء الربوبي، فمقتضاه أنّ المعلّم له شخص إلهي نوري مسانخ لنسخة الكتاب النوري، وإلا كان إجحافاً بعظمة القرآن أن يكون شأنه شأن بقية الكتب من كاتب بشري، فمن ثم قام تحدي معجز القرآن أنَّ البشر لا يتمكنون من المجيء بسورة من مثله، فهو بما له من آفاق فوق أفق قدرة فكرهم وعقلهم.

بل وإن هذا شأن كل العلوم الأخرى، فكيف بالقرآن الكريم؟ فإنّ مواصلة المسيرة العلمية في العلوم دليل على أنَّ عقلية البشر تعترف بالعجز والقصور عن الوصول والإحاطة بلا تناهي محيطات كل علم.

إنَّ العلم بمراتب الحجج من ناموس المعرفة، فإذا لم يتقن الإنسان مرتبة حجية كل حجة فسيضيع عليه طريق الهدى ويزيغ عن الصراط المستقيم؛ وذلك لأن التمسك بالحجة الأدنى في مقابل العليا زيغ وضلال وانحراف عن جادة الصراط المستقيم، والسبب في ذلك أنَّ إضاءة ونور الحجة الأدنى ليس بقدرة ضياء ونور ضياء الحجة العليا، ومن ثم ترك الاستضاءة من نور وضياء وشعاع وهدى الحجة الكبرى العليا يوجب عماية وتمادياً في الظلمة؛ لأن المفروض محدودية نور وضياء الحجة الأدنى عن أن تنير وتضيء لمساحة أكبر وأكثر، فمن ثم هناك حاجة وضرورة إلى المراتب العليا من الحجج، ولا يكتفى بالحجج الدنيا ولا بالحجج الوسطى، وإن كانت الحاجة ماسة ضرورية لكل الحجج عاليها ووسطها ودانيها، لكن لا استثمار لها إلا بمعرفة نظام المراتب لها لتنتظم تراتُبياً منظومة بكيان الصراط المستقيم المؤدي إلى الله تعالى.

إنَّ هذا البيان هو وجه ضرورة معرفة مراتب الحجج، وإذا اتضح ذلك فسنبيَّن أنَّ معية الثقلين يكون في كل الطبقات مع تقدم أحدهما على الآخر، ولكن ذلك لا يفصم معية كل طبقة متحاذية مع الأخرى، ولا تستبدل الحجة العليا بحجة دُنيا ثالثة كفهم المفسر والمجتهد بدل العترة، وكذلك لو جعل فهم المجتهد مع حجية العترة بدل المصحف، بل المعية بين الكتاب والعترة وكل الحجج الأخرى كاستظهار المفسر والمجتهد من الظنون الأخرى ولو بالاستعانة بقرائن من تتبع ظني من أحدهما كل تلك الحجج هي تحت هيمنة معية الثقلين وهما كما مر طبقات من المحكمات منهما معاً، وإذا اتضحت هذه الثمرة فلنعد إلى توضيح فكرة نظام الحجج في أمثلة القرآن لكي تتضح الثمرة والبرهان عليها أكثر.



بقلم: جليل العاملي

آثار تهجد الإمام الحسين عليه السلام على الأعداء

لقد أثر تهجد الإمام الحسين وصحبه عليهم السلام في الأعداء تأثيراً بالغاً ومن عدة جوانب.

الجانب الرسالي

كشف هذا الوقوف بين يدي الله ومناجاته أن لهؤلاء القوم قضيّة ربانية مرتبطة بالرسالات السماوية، وأنهم ليسوا طلاب سلطة ولا دعاة ملك أو رئاسة وإنما هم امتداد لرسول الله صلى الله عليه وآله ورسالته.

فهذه الفعال هي فعال الأنبياء والمرسلين عليهم السلام وعباد الله الصالحين.

الجانب النفسي

في الجانب النفسي نجد أن للمناجاة تأثيراً معاكساً في الأعداء، بمعنى: أنّ كل ما يدخله الدعاء والمناجاة والعبادة من ارتياح وانبساط نفسي على المؤمن، يكون على عكسه حال الظالم، وخاصة حينما يرى أمام عينيه وقوف المظلوم ومناجاته لله رب العالمين.

والسبب في ذلك؛ أنَّ الظالم يتملكه شعور نفسي خاص يتكون من مجموعة إدراكات ذهنية مختلفة كالآتي:

١. إدراكه بأنه متلبس بالظلم.
٢. أنه من صنف أهل الشر.
٣. أن عاقبته سيئة.
٤. أن مصيره إلى النار والعذاب.
٥. أنه وضيع.
٦. أنه أداة تستهلك بيد غيره.
٧. أنه يدمر نفسه كي يتنعم بالدنيا غيره.
٨. أنه عار على أبنائه وعشيرته.
٩. أنه موضع لعنة الله على مر الأجيال.

وغيرها من الإدراكات التي تدور في الذهن فتستشعرها النفس بمرارة وحسرة فتكون هذه الأحاسيس أشد ألماً على النفس من آلام الجراح.

لذلك نجد الكثير من الظالمين حينما يعيش هذه الحالة النفسية تأخذه العزة بالإثم كما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾. [البقرة:٢٠٥-٢٠٦]

فلا يجد من الناحية النفسية غير المضي بهذا الظلم، إلاّ في حالة واحدة وهي تغليب العقل على النفس فيأخذ من هذه المشاهد التي يراها من أهل الخير والصالحين فيشد النفس إلى اللحاق بهم بعد التوبة والمغفرة.

الجانب العسكري

في الجانب العسكري أوجد تهجد الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه عليهم السلام رعباً في نفوس الأعداء بمستوى كبير جداً.

فقد بدأ هذا الوقوف وهذا التهجد وكأنه وقعة حرب شرسة تدور رحاها على مقربة من الناظر.

فهؤلاء الذين انتصبوا وقوفاً فبدوا للناظر رماحاً يزهر من أسنّتها النور، هم في يوم غد تتصدع من قارعة سيوفهم القلوب المتحجرة.

وهذا الدّوي الآتي من هذه الشفاه التي رطبها الاستغفار، بدا للسامع قرقعة امتزج فيها صوت الأتراس حينما تصطك فوق أكتاف الفرسان وهم يجولون بخيولهم فيعلو صوت السنابك وهي تدق الصخور.

إنه مشهد تداخلت فيه الصور فاحتار الرائي والسامع بأيهما يعقل؟!

ولذلك ثبّت التاريخ على التحاق عدة من أفراد جيش عمر بن سعد إلى معسكر الإمام الحسين عليه السلام في ليلة العاشر من محرم الحرام عام ٦٠ للهجرة.

فقد ورد في روايات الفريقين: (انحاز من معسكر عمر بن سعد في هذه الليلة إلى معسكر الإمام الحسين عليه السلام اثنان وثلاثون رجلاً لما رأوا منهم هذا التهجد). (اللهوف في قتلى الطفوف:٥٧)

أحمد فتّاح صالح



لماذا هاجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم

قال الله تعالى بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي اللهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ * الَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾.[النحل:٤١-٤٢]

كان للنبي صلى الله عليه وآله وسلم خلال سنوات الدعوة الإسلامية ومن بداية البعثة الشريفة أسباب متعدّدة للهجرة عن مكّة المكرّمة مع أصحابه، ومنها:

-الاضطهاد الشديد الذي وقع عليه وعلى المسلمين.

-المحاولات القاسية التي بذلها المشركون لفتنتهم آملين رجوعهم عن الدين الحق وارتدادهم حيث كان يشكّل هذا الارتداد انتصاراً للجاهلية والوثنيّة.

فكانت هذه المرحلة من تأريخ الدعوة المشرق لا تتحمّل مثل هذه الظاهرة؛ إذ الدعوة في بداية طريقها الشائك.

وهذه المحاولات التي تمثّلت في الاضطهاد والقتل هي التي دفعت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى الإيعاز إلى المسلمين بالهجرة إلى الحبشة مرة، وثمّ إلى المدينة ثانية، ثم هجرته بنفسه صلوات الله وسلامه عليه.

فالمنطقة الجغرافية التي انطلقت منها الهجرة وهي مكّة لها دور في ذلك، وأيضاً المناطق التي هاجر إليها المسلمون لها دور وأثر.

وما عملية اختيار الحبشة أولاً، ثم المدينة ثانياً إلاّ تخطيط من النبي صلى الله عليه وآله وسلم لحماية المسلمين وتثبيت أركان الدعوة ورجالها.

مرحلة ما قبل الهجرة

هي السنوات التي عاشها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمون في مكّة، حيث كان صلى الله عليه وآله وسلم يدعو الناس إلى توحيد الله عزّ وجلّ وعبادته والإقرار بنبوّته، وترك عبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضرّ ولا تخلق ولا ترزق ولا تحيي ولا تميت.

أقام رسول الله بمكة ثلاث سنين يكتم أمره وهو يدعو إلى توحيد الله عز وجل، وعبادته والإقرار بنبوته، فكان إذا مرّ بملأ من قريش، قالوا: إن فتى ابن عبد المطلب ليكلم من السماء حتى عاب عليهم آلهتهم وذكر هلاك آبائهم الذين ماتوا كفاراً ثم أمره الله عز وجل، أن يصدع بما أرسله، فأظهر أمره وأقام بالأبطح فقال: «إني رسول الله أدعوكم إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضر ولا تخلق ولا ترزق ولا تحيي ولا تميت». فاستهزأت منه قريش وآذته وقالوا لأبي طالب: إن ابن أخيك قد عاب آلهتنا وسفه أحلامنا وضلل أسلافنا فليمسك عن ذلك وليحكم في أموالنا بما يشاء. فقال صلى الله عليه وآله: «إن الله لم يبعثني لجمع الدنيا والرغبة فيها وإنما بعثني لأبلغ عنه وأدل عليه. وآذوه أشد الإيذاء، فكان المؤذون له منهم أبو لهب والحكم بن أبي العاص وعقبة بن أبي معيط وعدي بن حمراء الثقفي وعمرو بن الطلاطلة الخزاعي: وكان أبو لهب أشد أذى له. (تاريخ اليعقوبي:٢/٢٤)

فكانوا يوكلون صبيانهم وعبيدهم فيلقونه بما لا يحبّ حتى أنّهم نحروا جزوراً ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قائم يصلّي، فأمروا غلاماً فحمل السلى والغرث حتى وضعه بين كتفيه وهو ساجد.

وعلى الرغم من كلّ هذا الأذى لم يتراجع النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن دعوته ويقف فيها قائلاً لهم: «يَا بَنِي عَبْدِ المُطَّلِب، إنِّي وَاللهِ مَا أَعْلَمُ شَابّاً فِي الْعَرَبِ جَاءَ قَوْمَهُ بِأَفْضَلَ مِمَّا جِئْتُكُمْ بِهِ، إنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَة، وَقَدْ أَمَرَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ أَدْعُوَكُمْ إلَيْه، فَأَيُّكُمْ يُؤْمِنُ بِي وَيُؤَازِرُنِي عَلَى أَمْرِي، فَيَكُونَ أخِي وَوَصِيِّي وَوَزِيرِي وَخَلِيفَتِي فِي أَهْلِي مِنْ بَعْدِي»... فَأَمْسَكَ الْقَوْمُ، وَأَحْجَمُوا عَنْهَا جَمِيعاً. (أمالي الطوسي:٥٨٣)

فالقوم يضحكون ويسخرون، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم ثابت راسخ لا يلين، ولا يهدأ ولا يملّ من الدعوة إلى الله تعالى، وقدّم الشهداء من أمثال ياسر زوجته سميّة، اللذين كانا أول شهيدين في الإسلام.

وجاء في كتب التاريخ أنه أسلم خلق عظيم وظهر أمرهم وكثرت عدّتهم وعاندوا ذوي أرحامهم من المشركين، فأخذت قريش من استضعفت منهم إلى الرجوع عن الإسلام والشتم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. (تاريخ اليعقوبي:٢/٢٨)

الهجرة إلى الحبشة

لّما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما فيه أصحابه من الجهد والعذاب وما هو فيه من حال قال لأصحابه: ارحلوا مهاجرين إلى أرض الحبشة إلى النجاشي فإنّه يحسن الجوار، وذلك بهدف الحفاظ على عقيدتهم والتخلّص من أذى قريش ومضايقتها والحصول على مكانٍ آمن يقيمون فيه شعائرهم بحريّة ويعبدون الله الواحد.

وكان لابدّ من مغادرة أرض مكّة التي ترزح تحت ظلام الوثنية، ولا يمكن أن يُرفع فيها نداء التوحيد، ولا إقامة أحكام الدين الحنيف في ذلك الزمن.

وكان اختيار النبي صلى الله عليه وآله وسلم للحبشة داراً للهجرة اختياراً حكيماً، ولهذا لم يرسل المسلمين إلى غيرها كأرض الشام أو اليمن أو الحيرة.

وتنطوي الهجرة على مصاعب وآلام شديدة فهي تمثّل ترك الأهل والوطن، وغضّ الطرف عن المال والتجارة، وهناك مشقّة السفر وأتعابه. ولذا فإنّ المهاجرين إلى الحبشة عبّروا بهجرتهم عن الإيمان والإخلاص العميق للدين.

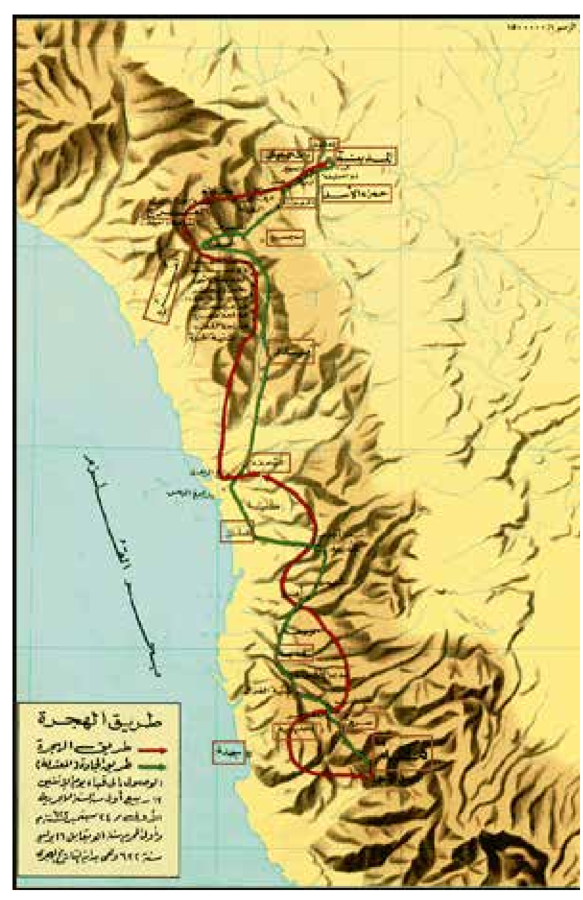
ولهذا نجد كم كانت قريش حريصة على استرداد المهاجرين، وإخراجهم من أرض الحبشة خوفاً من أن تتحوّل إلى قاعدة قوية للمسلمين، فوجّهت عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة إلى النجاشي لإقناعه بإخراج المسلمين من أرضه.

وقد ورد أنّ أبا طالب أرسل للنجاشي أبياتاً يحثّه فيها على الدفع عن المهاجرين وحسن جوارهم. (السيرة النبوية:١/٣٥٧)

ونظراً للنتائج المهمّة التي حققتها الهجرة إلى الحبشة، والهزيمة التي لحقت بقريش منها، دخلت المواجهة بين النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل مكّة مرحلة جديدة يمكن تسميتها بالحصار الشامل.

أسباب الهجرة إلى المدينة

انزعجت قريش من الانتشار المتزايد للإسلام، ونفوذه في القبائل العربية في مدة غير طويلة بالنسبة إلى عمر الدعوة، ورغم أن المسلمين ما زالوا قلّة، فإنّ إسلام شخصيات ذات



أهمية ومكانة كبرى مثل حمزة كان له الأثر البالغ في تقوية شوكة الدين.

وهذا ما دفع قريشاً إلى التفكير في كيفية إزالة هذا الخطر الكبير الذي يهدد نفوذها وزعامتها في الجزيرة العربية، فكان أن اتّخذت مجموعة من الإجراءات التي تظن بأنها كفيلة في إبعاد هذا الخطر.

قريش تظلم النبي صلى الله عليه وآله وسلم

أولاً: محاربة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين اقتصادياً واجتماعياً

لقد حاربت قريش النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الشِّعب الذي يقال له شِعب بني هاشم بعد ستّ سنين من مبعثه، ومنعوا الناس من التعامل معهم تجارياً، والتزويج منهم، وإيصال الطعام إليهم، واتفقوا على أن يكونوا يداً واحدة على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأنصاره.

لقد كان في هذا الحصار المعجزة الإلهية وقد تحول إلى نصرٍ كبير للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بنزول جبرائيل عليه السلام بالمدد الغيبي، ليظهر الله تعالى نبوّة نبيّه وصدقه في دعوته بإخبار النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنّ الأرضة قد أكلت صحيفة قريش المعلّقة في الكعبة.

وانتهى الحصار بعد ثلاث سنوات عجاف، تحمّل فيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبنو هاشم ما تنوء عنه الجبال من الشدّة والعذاب، وانتهت بعده أيام حياة سندين عظيمين للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في دعوته وهما: زوجته الوفيّة خديجة بنت خويلد رضوان الله تعالى عليها التي وقفت بجانبه صلى الله عليه وآله وسلم وآمنت به، بعد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وعمّه الوفيّ أبو طالب رضوان الله تعالى عليه.

فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حقّ السيدة خديجة عليها السلام روايات عديدة، وقد ذكر فضلها ومؤازرتها له صلى الله عليه وآله وسلم في الشدّة، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ما نفعني مال قط مثل ما نفعني مال خديجة عليها السلام».(أمالي الطوسي:٤٦٨)

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ما قام ولا استقام ديني إلاّ بشيئين: مال خديجة وسيف علي بن أبي طالب».(شجرة طوبى للمازندراني:٢/٢٠)

وسمّى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك العام بعام الحزن.

ثانياً: الاستمرار في إيذاء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والمسلمين

فبالإضافة إلى ما ذكرناه من توجيه قريش أذاها للمسلمين وقتلهم وتعذيبهم ودفعهم للهجرة إلى الحبشة استمرّت ردود فعلها ضد الإسلام والمسلمين وضدّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خاصة، واستخدمت أساليب أخرى سلكتها لتحطيم شخصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإضعاف عزيمته مثل وصفهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بالأبتر.

وواجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في السنة الحادية عشر جوّاً مفعماً بالعداء له، والحقد عليه، وصارت الأخطار تهدّد حياته الشريفة في كل لحظة، فقرّر الانتقال من المحيط المكّي إلى محيطٍ آخر يتسنّى له تبليغ رسالته.

فسافر إلى الطائف مع الإمام علي عليه السلام ليطلب النصرة من القبائل التي كانت تقطن خارج مكة، ولكن لم يجبه أحد منها، غير أنّه عثر على غلام نصرانيّ فأسمعه كلام الله تعالى فأسلم ورجع صلى الله عليه وآله وسلم إلى

مكّة وهو مطمئن بالنصر الإلهي بعد هذا الجهاد والصبر، وكان يستغيث بالله وحده ويقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ مِنْ ضَعْفِ قُوَّتِي وَقِلَّةِ حِيلَتِي وَنَاصِرِي وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ يَا ارْحَمَ الرَّاحِمين».(مناقب آل أبي طالب:١/٦٨)

وكان يناجي ربه ويقول: «أَنْتَ رَبِّي وَمِنْ شَرِّ الْجِنِّ وَ الإِنْسِ فَسَلِّمْنِي إِلَى مَنْ تَكِلُنِي يَا رَبِّ إِلَى الْمُسْتَضْعَفِينَ لِي أَمْ إِلَى عَدُوٍّ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي أَوْ إِلَى بَعِيدٍ فَيَتَجَهَّمُنِي».(جمال الأسبوع:٣٨٨)

ثالثاً: التآمر على قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم

بعدما لم تنفع كل الوسائل اتّخذت قريش القرار بقتل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فاجتمعوا في دار الندوة وأجمعوا على أن يأتوا من كل قبيلة بغلام فيجتمعوا عليه فيضربوه ضربة رجل واحد فلا يكون لبني هاشم قوّة بمعاداة جميع قريش.

ولكن العناية الإلهية كان تحوط به صلى الله عليه وآله وسلم وامتدت إليه يد الغيب لتخبره بالمؤامرة، وصدر الأمر الإلهي بالهجرة إلى المدينة، وأن يبيت الإمام علي عليه السلام في فراشه، وجاءت قريش لتنفيذ المؤامرة وكانت المفاجأة برؤية الإمام عليه السلام في فراش النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفي ذلك نزل قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾.[الأنفال:٣٠]

مقدّمات الهجرة

بالإضافة إلى هذه الأسباب المتقدّمة التي دفعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى اتخاذ القرار الإلهي بالهجرة إلى المدينة، فقد توفرت جملة من المقدمات كان لها الدور الأساس في اختيار النبي صلى الله عليه وآله وسلم للمدينة داراً للهجرة ومنها:

أولاً: قدوم اليثربيين إلى مكة

إنّ قبيلتي الأوس والخزرج من مهاجري عرب اليمن تسكن المدينة المنوّرة منذ أوائل القرن الرابع الميلادي، وكان يعيش إلى جانبهم القبائل اليهودية الثلاث المعروفة (بنو قريظة - بنو قينقاع - بنو النضير)، وكان يقدم إلى مكّة كل عام جماعة منهم للاشتراك في مراسيم الحج، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يلتقي بهم في تلك المراسم. وقد مهَّدت بعض هذه اللقاءات للهجرة.

ومن المعروف أن حروباً طويلة كانت بين القبيلتين كادت أن تفنيهم، وكانت دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم تمثّل الأمل بالخلاص لكلتا القبيلتين.

ثانياً: بيعتا العقبة (الأولى والثانية)

أسفرت هذه اللقاءات بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم والقبائل القادمة من يثرب عن إسلام فريق منهم واعتناقهم الإسلام، فقدم إلى مكّة في العام التالي اثنا عشر رجلاً من أهل يثرب، فلقوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالعقبة، وانعقدت هناك أوّل بيعة إسلامية.

وعاد هؤلاء إلى يثرب بقلوبٍ مفعمة بالإيمان، وعمدوا إلى نشر الإسلام، وكتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يبعث لهم من يعلّمهم الإسلام والقرآن، فبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهم (مصعب ابن عمير).

وعندما حلّ موسم الحج خرجت قافلة كبيرة من أهل يثرب للحجّ، والتقوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فواعدهم بالعقبة للبيعة الثانية.

وقام فيهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم خطيباً، وتركت كلماته أثراً عجيباً في نفوسهم، وهيّأت قلوبهم لقبول الدين، فأعلنوا إسلامهم، وأخذ صلى الله عليه وآله وسلم عليهم العهود والمواثيق أن يمنعوه وأهله ممّا يمنعون منه أنفسهم وأهليهم وأولادهم. وعلى أن يحاربوا معه الأسود والأحمر وأن ينصروه على القريب والبعيد، وشرط لهم الوفاء بذلك والجنة.(تاريخ اليعقوبي:٢/٣٧)

وبعد أن تمّت مراسم البيعة وعدهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأن يهاجر إليهم في الوقت المناسب، ثم انفض الجمع وعاد القومُ إلى رحالهم.(بحار الأنوار:١٩/٢٥)

وهذا ما حصل بالفعل حيث توجّه النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة وانطلق منها نحو مرحلة جديدة من الدعوة، وبدأ المشروع السياسي والاجتماعي والاقتصادي للدين الإسلامي بالظهور شيئاً فشيئاً، وبدأت الانتصارات تتوالى في حروب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وغزواته إلى أن دخل الناس في دين الله أفواجاً، وعمّ الإسلام أرجاء الكرة الأرضية.

شعبة الدراسات والبحوث/
عن مصادره بتصرف

نور الرسالة المحمدية

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قُلْتُ لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله أَوَّلُ شَيْءٍ خَلَقَ اللهُ تَعَالَى مَا هُوَ؟ فَقَالَ صلى الله عليه وآله: «نُورُ نَبِيِّكَ يَا جَابِرُ خَلَقَهُ اللهُ ثُمَّ خَلَقَ مِنْهُ كُلَّ خَيْرٍ». (بحار الأنوار:١٥/٢٤)

إنّ الله تبارك وتعالى خلق نور النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قبل خلق كل شيء، بل وقبل خلق كل خير.

وذلك في أحاديث كثيرة متواترة ورد بهذا الخصوص، على أنّ نور النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ونور علي عليه السلام كان واحداً.

عن أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الصَّغِيرِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْجَعْفَرِيِّ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ: «إِنَّ اللهَ كَانَ إِذْ لَا كَانَ فَخَلَقَ الْكَانَ وَالْمَكَانَ وَخَلَقَ نُورَ الْأَنْوَارِ الَّذِي نُوِّرَتْ مِنْهُ الْأَنْوَارُ وَأَجْرَى فِيهِ مِنْ نُورِهِ الَّذِي نُوِّرَتْ مِنْهُ الْأَنْوَارُ وَهُوَ النُّورُ الَّذِي خَلَقَ مِنْهُ مُحَمَّداً وَعَلِيّاً فَلَمْ يَزَالا نُورَيْنِ أَوَّلَيْنِ إِذْ لَا شَيْءَ كُوِّنَ قَبْلَهُمَا فَلَمْ يَزَالا يَجْرِيَانِ طَاهِرَيْنِ مُطَهَّرَيْنِ فِي الْأَصْلَابِ الطَّاهِرَةِ حَتَّى افْتَرَقَا فِي أَطْهَرِ طَاهِرِينَ فِي عَبْدِ اللهِ وَأَبِي طَالِبٍ عليه السلام». (الكافي:١/٤٤١)

فخلق النبي صلى الله عليه وآله قبل أن يأتي إلى الوجود بشخصه وهي قضية لا يمكن أن يختلف فيها اثنان لأنّ الله سبحانه وتعالى أنبأ عن بني آدم أنّه خلقهم قبل خلقهم أنواراً.

فقال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾. (الأعراف:١٧٢)

عن أبي عَبْدِ الله عليه السلام أنّه قال: «أَوَّلُ مَنْ سَبَقَ مِنَ الرُّسُلِ إِلَى بَلَى مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ أَقْرَبَ الْخَلْقِ إِلَى اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَكَانَ بِالْمَكَانِ الَّذِي قَالَ لَهُ جَبْرَئِيلُ لَمَّا أُسْرِيَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ «تَقَدَّمْ يَا مُحَمَّدُ فَقَدْ وَطِئْتَ مَوْطِئاً لَمْ يَطَأْهُ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ» وَلَوْلَا أَنَّ رُوحَهُ وَنَفْسَهُ كَانَتْ مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ لَمَا قَدَرَ أَنْ يَبْلُغَهُ، فَكَانَ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ كَمَا قَالَ اللهُ قاب



قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى أَيْ بَلْ أَدْنى فَلَمَّا خَرَجَ الْأَمْرُ مِنَ اللهِ وَقَعَ إِلَى أَوْلِيَائِه عليهم السلام»، فَقَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: «كَانَ الْمِيثَاقُ مَأْخُوذاً عَلَيْهِمْ لِلّهِ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَلِرَسُولِه بِالنُّبُوَّةِ وَلِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْأَئِمَّةِ بِالْإِمَامَةِ، فَقَالَ: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ وَمُحَمَّدٌ نَبِيُّكُمْ﴾ وَعَلِيٌّ إِمَامُكُمْ وَالْأَئِمَّةُ الْهَادُونَ أَئِمَّتُكُمْ فَ﴿ قالُوا بَلى شَهِدْنا ﴾ فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيامَةِ ﴾ أَيْ لِئَلَّا تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿ إِنَّا كُنَّا عَنْ هذا غافِلِينَ ﴾ فَأَوَّلُ مَا أَخَذَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمِيثَاقَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَهُوَ قَوْلُهُ ﴿ وَإِذْ أَخَذْنا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثاقَهُمْ﴾» فَذَكَرَ جُمْلَةَ الْأَنْبِيَاءِ ثُمَّ أَبْرَزَ أَفْضَلَهُمْ بِالْأَسَامِي فَقَالَ: ﴿وَمِنْكَ يَا مُحَمَّدُ، فَقَدَّمَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله لِأَنَّهُ أَفْضَلُهُمْ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فَهَؤُلَاءِ الْخَمْسَةُ أَفْضَلُ الْأَنْبِيَاءِ وَرَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله أَفْضَلُهُمْ، ثُمَّ أَخَذَ بَعْدَ ذَلِكَ مِيثَاقَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِالْإِيمَانِ بِه وَعَلَى أَنْ يَنْصُرُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَقَالَ ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ ﴾ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وَحِكْمَةٍ ﴿ ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَكُمْ﴾ يَعْنِي رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله ﴿ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ يَعْنِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وَأَخْبِرُوا أُمَمَكُمْ بِخَبَرِه وَخَبَرِ وَلِيِّه مِنَ الْأَئِمَّةِ عليهم السلام».(تفسير القمي١/٢٤٦)

فخلق النبي الأكرم صلى الله عليه وآله رحمة من الله تبارك وتعالى من أجل هداية البشر، فهو الذي قاتل على التنزيل، ومن أجل إصدار التشريع الإلهي والأوامر الوحيانية التي تنفع البشرية في المسير إلى التكامل.

وقد خلق الله تعالى الإمام علياً عليه السلام من أجل تثبيت هذه التشريعات السماوية الوحيانية، في قلوب الناس، ومن أجل هدايتهم إلى الطريق، وهو الذي قاتل على التأويل.

قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَإِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما فَإِنْ بَغَتْ إِحْداهُما عَلَى الْأُخْرى فَقاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلى أَمْرِ اللهِ ﴾،(الحجرات:٩)، فَلَمَّا نَزَلَتْ هذه الآيَةُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه و آله: «إِنَّ مِنْكُمْ مَنْ يُقَاتِلُ بَعْدِي عَلَى التَّأْوِيلِ، كَمَا قَاتَلْتُ عَلَى التَّنْزِيلِ»، فَسُئِلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: مَنْ هُوَ؟ فَقَالَ: خَاصِفُ النَّعْلِ يَعْنِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام». (الكافي:٩/٣٧٦)

إنّ هذه الآية أصل في قتال أهل البغي من المسلمين، ودليل على وجوب قتالهم، وعليها بنى أمير المؤمنين عليه السلام قتال الناكثين والقاسطين والمارقين، وإيّاها عنى رسول الله صلى الله عليه وآله حين قال لعمّار بن ياسر: «يا عمّار، تقتلك الفئة الباغية».(المبسوط:٧/٢٦٢)

فنور الرسالة المحمّدية جاء بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأشرقت بهديه المبارك، لكن ثبّتها أمير المؤمنين علي عليه السلام، بالتسديد الإلهي. والنبي صلى الله عليه وآله هو الذي يتكلم عن نفسه فيقول لجابر بن عبد الله الأنصاري: «يا جابر خلقت أنا وعلي من نور واحد قبل أن يخلق الله آدم بألفي عام نقلنا إلى صلبه ولم نزل نسير في الأصلاب الزاكية والأرحام الطاهرة حتى افترقنا إلى صلب عبد المطلب فجعل فيَّ النبوة والرسالة وفيه الخلافة والسؤدد».(بشارة المصطفى لشيعة المرتضى:٤/٢٥)

وقال الإمام علي الهادي عليه السلام في الزيارة الجامعة: «خَلَقَكُمُ اللهُ أَنْواراً فَجَعَلَكُمْ بِعَرْشِه مُحْدقِينَ حَتّى مَنَّ عَلَيْنا بِكُمْ، فَجَعَلَكُمْ في بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فيهَا اسْمُهُ».(مفاتيح الجنان)

ويسرّني أن أقول في هذا المعنى:

من قبل خلق الكون نورك يزهر
وعلى الوجود جلال قدسك يظهر

وبصلب آدم كنت نوراً شامخاً
والأنبياء بسر نورك أبصروا

مذ كنت في أصلابهم متنقلاً
والوحي فيهم من جلالك يؤثّرُ

وتزودوا من فيضك التقوى وما
كانوا سوى سفن بفيضك تبحر

ما أورقت تلك النبوة فيهم
إلا وأنت معينها والمصدر

إن كان هذا اليوم مولد أحمد
فبمثل هذا اليوم أشرق جعفرُ

هذه هي قضية خلق النبي صلى الله عليه وآله وسلم نوراً وهي قضية يعترف بها الجميع ليس الذين يعتقدون بإمامة النبي وبنبوته وبعصمته وبعصمة الأئمة فحسب بل المخالفون كذلك يعتقدون بها، والله سبحانه وتعالى أوصى الأنبياء واحداً تلو الآخر وهم آباء النبي بأن كل واحد منهم يجب أن يحرص على أن يختار لهذا النور الرحم المطهر حتى يطل علينا بشمسه الزاهرة وهذه النظرية تفند رأي من يرى أنّ بعض آباء النبي هم كافرون كيف يكون ذلك وقد خلقه الله سبحانه وتعالى وتكفل بحفظه وأوصله إلى هذا الوجود رحمة للعالمين.

ورد عند العامة والخاصة: لما خلق الله آدم عليه السلام، سمع من تخطيط أسارير جبهته نشيشاً، فقال: سبحانك ما هذا الذي أسمعه ولا أراه، قال عزّ وجل: يا آدم هذا تسبيح نور خاتم النبيين وسيد المرسلين في الدنيا والآخرة – فكان نور نبينا صلى الله عليه وآله وسلم، في دائرة غرة آدم عليه السلام يتلألأ كالبدر في تمام انجلاءه – فقال الله تعالى يا آدم خذ عني النور النبوي بعهدي وموثقي وهو نور الأبدية، ولا تودعه إلا في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة حتى يتم مرتقاه، وكانت الملائكة تقف خلف آدم يقتبسون من الأنوار المحمدية، فقال آدم: يا رب لم الملائكة يقفون خلفي، قال: يا آدم ليشهدوا نور خير البرية الذي ظهر فيك، فالله أنبأه قال رب اجعله في مكان حتى أراه، فكان يلمع في سبابته وجبهته الندية، فآمن به آدم وصلى عليه وتوسل به إلى الله». (اللئالئ السنية:٣/٢٣٢)

الصادق الأمين

النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم الصادق الأمين قبل بعثته وهو ما ذاع في الآفاق ويعترف به القاص والداني.

وهو ما دعا خديجة أن تسخر كل أموالها بخدمته قبل أن يبعث صلى الله عليه وآله.

وقد حدث قبل البعثة بخمسة أعوام أن جرف السيل الكعبة فحول الحجر الأسود من مكانه فاهتمت القبائل في أن يبنوا بيت الله الحرام وكانت كل قبيلة تتمنى أن يكون لها شرف المشاركة في بناء الكعبة المشرفة فلما أتموا بناءها كانوا يتمنون أن يكون لهم الشرف في وضع الحجر الأسود في مكانه فتنازعوا في ذلك وتشاجروا، لأنّ هذا شرف عظيم وكادت أن تقع بينهم الفتنة وكاد أن يقع بينهم القتال ولكنهم بعد أن تشاجروا تشاوروا فقال قائل منهم فلنجعل من يدخل علينا من هذا الباب حكماً بيننا فرضوا بهذا الرأي.

وإذا بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله قد أقبل – ولم يكن حينذاك نبياً قبل البعثة بخمسة أعوام – فأشار عليهم أن يأخذ كل واحد منهم يمثل قبيلة بطرف الرداء ويضع الحجر الأسود في الرداء وينحنحوه من مكانه إلى موضعه الأصلي ويثبتونه فيه وقد رضوا بهذه القسمة وقال قائلهم:

تشاجرت الأطراف في رسم خطة ... جرت بينهم من بعد نحس وأسعد

فلما رأين الأمر قد جد جده ... ولم يبق شيء غير سل المهند

رضينا وقلنا العدل أول طالع ... يجيء من البطحاء في غير موعد

ففاجأنا هذا الأمين محمد ... فقلنا رضينا بالأمين محمد

القوي الأمين

لا يوجد على الإطلاق في الكون أشجع من النبي محمد صلى الله عليه وآله وهذا مولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام يقول: «كنّا إذا اشتد الوطيس لذنا بالنبي صلى الله عليه وآله»، هذه هي شجاعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

لقد بيّن الإمام الصادق عليه السلام في حديثه المبارك ما كلّفه الله تعالى في خروجه على الناس كلهم حتى وإن لم يجد فئة تقاتل معه.

فقد روي عن محمد بن يعقوب الكليني، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَدِيدٍ عَنْ مُرَازِمٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام أنّه قال: «إِنَّ اللهَ كَلَّفَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله مَا لَمْ يُكَلِّفْهُ أَحَداً مِنْ خَلْقِهِ كَلَّفَهُ أَنْ يَخْرُجَ عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ وَحْدَهُ بِنَفْسِهِ إِنْ لَمْ يَجِدْ فِئَةً تُقَاتِلُ مَعَهُ وَلَمْ يُكَلِّفْ هَذَا أَحَداً مِنْ خَلْقِهِ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ»، ثُمَّ تَلَا عليه السلام هَذِهِ الْآيَةَ ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ



﴿لا تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ﴾، ثُمَّ قَالَ عليه السلام: «وَجَعَلَ اللَّه أَنْ يَأْخُذَ لَهُ مَا أَخَذَ لِنَفْسِه فَقَالَ عَزَّ وَجَلَ ﴿مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها﴾ وَجُعِلَت الصَّلاَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وآله بِعَشْرِ حَسَنَاتٍ». (الكافي:٨/٢٧٥)

صلى الله عليك يا رسول الله وعلى أهل بيتك الطيبين الطاهرين.

إنّ شجاعة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله لا توصف، فقد ورد عن بطل الإسلام والذي قتل صناديد العرب قوله: «كُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وآله ولَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ وَذَلِكَ مَشْهُورٌ مِنْ فِعْلِه يَوْمَ أُحُد إِذْ ذَهَبَ الْقَوْمُ فِي سَمْعِ الأَرْضِ وَبَصَرِهَا وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ وَلَّوْا مُدْبِرِينَ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَيَّامِه صلى الله عليه وآله حَتَّى أَذَلَّ بِإِذْنِ اللَّه صَنَادِيدَهُمْ وَقَتَلَ طَوَاغِيتَهُمْ وَدَوَّخَهُمْ وَاصْطَلَمَ جَمَاهِيرَهُمْ وَكَلَّفَهُ اللَّه الْقِتَالَ بِنَفْسِه فَقَالَ ﴿لا تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ﴾. (بحار الأنوار:١٦/١١٧)

إذا عَظُم الخوفُ من العدو واشتد عضاضُ الحرب فَزِعَ المسلمون إلى قتال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه.

فينزل الله عليهم، النصر به ويأمنون ما كانوا يخافونه بمكانه.

وقوله عليه السلام: «إذا احمرّ البأس» كناية عن اشتداد الأمر، وقد قيل في ذلك أقوال أحسَنُها: أنه شبّه حَمْيَ الحرب بالنار التي تجمع الحرارة والحمرة بفعلها ولونها،

وممّا يقوي ذلك قول الرسول صلى الله عليه وآله، وقد رأى مُجْتَلَدَ الناس يوم حُنين وهي حرب هوازن: «الآن حَمِيَ الوَطِيسُ» فالوطيسُ: مستوقَدُ النار: فشبه رسول الله صلى الله عليه وآله ما استحرّ من جلاد القوم باحتدام النار: وشدة التهابها.

أعظم هدية

إنّ الله سبحانه وتعالى لم يهدِ أحداً من الأنبياء هدية أعظم مما أهداها للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وهي الصلاة على محمد وآله محمد؛ فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيما﴾.[الأحزاب:٥٦]

فقد ورد عن محمد بن يعقوب الكليني، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَدِيدٍ عَنْ مُرَازِمٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّه عليه السلام أنّه قال: «رَجُلاً أَتَى رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وآله فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه إِنِّي أُصَلِّي فَأَجْعَلُ بَعْضَ صَلاَتِي لَكَ، فَقَالَ: ذَلِكَ خَيْرٌ لَكَ؛ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه فَأَجْعَلُ نِصْفَ صَلاَتِي لَكَ، فَقَالَ: ذَلِكَ أَفْضَلُ لَكَ؛ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه فَإِنِّي أُصَلِّي فَأَجْعَلُ كُلَّ صَلاَتِي لَكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وآله: إِذاً يَكْفِيكَ اللَّه مَا أَهَمَّكَ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكَ وَآخِرَتِكَ... فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ ﴿مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها﴾ وَجُعِلَت الصَّلاَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وآله بِعَشْرِ حَسَنَاتٍ». (الكافي:٨/٢٧٤)

عبد الحسين جدوع



القـــوة في الإسـلام من أجل الدفاع

قال الله تبارك وتعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾.[الأنفال:٦٠]

إنّ القوة هي القدرة على تغيير حال الإنسان من حركة إلى حركة أخرى، أو تغيير حالة جسم من موضع إلى موضع آخر.

فقد بات معنى القوة كثيراً في اللغة العربية فقيل: القُوَّة ضدُّ الضعف، وهي طاقة من طاقات الحبل، وقيل القُوَّة: المؤثر الذي يغيّر أو يميل إلى تغيير حالة سكون الجسم أَو حالة حركته بسرعة منتظمة في خط مستقيم، وهو مبعث النشاط والنمو والحركة، وتنقسم إلى طبيعية وحيويَّة وعقلية، كما تنقسم إلى باعثة وفاعلة، قيل: رجلٌ شديدُ القُوى: شديدُ أَسْرِ الخَلْق، والقوَّات المسلَّحة: فيالقُ الجيش في البَّرِ والبحر والجو مصدر.

فمن الممكن أن يستخدم الإنسان قوّته في الخير، أم لا يستخدمه في الشر.

فإذا كان للإنسان قوة فيمكن أن يتوجّه إلى العنف والقهر والحرب والدمار، والظلم والاستبداد، والشر والطغيان.

فقوة الإنسان هي: طَاقَتُهُ، وحَرَكَتُهُ المُتَنَامِيَةُ.

فالقوة في الاصطلاح هي تمكّن الحيوان (أي الكائن الحيّ) من الأفعال الشّاقّة؛ فإن كان الكائن نباتاً سمّيت قوّته قوّة طبيعيّة، وإن كان حيواناً سمّيت قوّته قوّة نفسانيّة وإن كان إنساناً سمّيت قوّته قوّة عقليّة.

والقوى العقليّة باعتبار إدراكها للكلّيّات تسمّى القوّة النّظريّة، وباعتبار استنباطها للصّناعات الفكريّة من أدلّتها بالرّأي تسمّى القوّة العمليّة.

فالقوّة الّتي تستعمل للتّهيّؤ في البدن أو القلب يقال بها على وجهين: الأوّل: لما هو موجود ولكنّه لا يستعمل، والآخر لمن يمكن أن يحصل منه الفعل.

فلان كاتب بالقوّة لمن يعرف الكتابة، ولكنّه لا يكتب، ومثال الثّاني: فلان كاتب لمن يمكنه تعلّم الكتابة.

فالقوة في الإسلام هي من أجل السلام، وليست استباحة دم الناس، أو انتهاج حرمات الآخرين، مهما كانت دياناتهم، ومهما كانت انتماءاتهم.

إن الدين الإسلامي قد شرع قوانين وضوابط للمسلمين وأمرهم باحترام الآخرين، سواء كان مسلماً أو غيره، وسواء كان متديّناً أي: صاحب دين، أو لم يكن كذلك.

فلن يجوّز الإسلام الحصول على القوة من أجل استباحة الدماء أو الأعراض أو الأموال.

وذلك ما قاله الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ... ﴾.

رُوِيَ عَنْ عَلِيّ عليه السلام في قوله تعالى ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ... ﴾ أنه قال: «أَيْ رَابِطُوا الصَّلَوَاتِ وَاحِدَةً بَعْدَ وَاحِدَةٍ».

فهنا أراد الإمام عليه السلام أولاً: الانتظار لأن المرابطة

لم تكن حينئذ.

ثانياً: في المعنى اصبروا، أي: اصبروا على تكاليف الدين في الطاعات وعن المعاصي.

ثالثاً: الصبر على أعداء الله في الجهاد، أي: غالبوهم في الصبر على شدائد الحرب لا تكونوا أقل صبراً منهم وثباتاً.

رابعاً: الثبات والقيام في الثغور رابطين الخيول فيها مترصدين مستعدين للدفاع.

خامساً: قوله تعالى من قوة، أي: من كل ما تتقوى به في الحرب من عددها.(فقه القرآن:١/٣٣٤)

إنّ المذهب الوحيد في هذا العالم وعلى وجه هذه الكرة الأرض الذي لا يستبيح دماء أي إنسان على هو مذهب أهل البيت عليهم السلام.

بل حتى بالنسبة للكافر كذلك، فدمه في فقه أهل البيت عليهم السلام لا يستباح.

ليس له احترام المؤمن والمسلم، لكن لا يستبيح دمه إذا كان مسالماً ومعاهداً.

ومذهب أهل البيت عليهم السلام هو الوحيد الذي يقول إنّ الحرب بين الكفار والمسلمين إذا وضعت أوزارها وأصبح السلم لا يقتل الأسير من الكافرين.

فهذا المذهب الوحيد في المدرسة الإسلامية، بل في الأرض، الذي لا يجيز استباحة دم أي إنسان.

ففي الحقيقة القوة في مذهب أهل البيت عليهم السلام لأجل استتباب السلم لا للعنف ولا لاستباحة دم الآخر.

ولا للذبح على الهوية، مهما كانت الهوية؛ سواء كانت بوذياً أو وثنياً أو غير ذلك.

إنّما القوة في الإسلام وفي الشريعة الإلهية التي جاء بها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وقام أهل البيت عليهم السلام بتطبيقها بشتى الطرق بين البشر من أجل مقاومة المعتدي فقط، فإنّ الإسلام سمح للمسلمين مواجهة الاعتداء من قبل الأعداء، وذلك لحفظ بيضة الإسلام والعرض والأرض والمال والنفس.

فمذهب أهل البيت عليهم السلام هو باب للفكر، وباب للحوار، وباب الدعوة للدين بالنور، وبالقوة الناعمة.

وهذا شعار مذهب أهل البيت عليهم السلام شعار النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وشعار الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام شعار الحسن والحسين عليهما السلام ألا وهو: أكره أن أبدأهم بقتال.

فأهل البيت عليهم السلام يكرهون البدء بقتال المعتدي، وليس الاعتداء على الآخر، ليس هناك من مدرسة أهل البيت عليهم السلام مَنْ يحرّض الناس على العنف.

فإنما شعار مدرسة أهل البيت عليهم السلام هو المنطق، وهي لا تحمل في طياتها وبنودها في مشروعها العنف.

لذلك تعجب العالم كله في زمننا هذا، بهذه الطريقة لمواجهة الاعتداء، ولمواجهة العداء والأعداء.

إنّ العالم ينظر إلى أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام وهم يقتلون في أرجاء الكرة الأرضية لكنهم لا ينتقمون.

وقد رأى العالم بأكمله أنّ أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام كالأسود بوجه المعتدي والعدو، الذي يريد خراب بيضة الإسلام، أو يريد انتهاك حرمة الشيعة، كالنفس والعرض والمال.

فقد أمر الله تعالى أنّ نضرب المعتدي فقط، فيرى العالم أنّ الشيعة يضربون من هو حامل السلاح ضدهم حصراً.

وهذه من عظمة مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

المدرسة المنطقية، الوحيانية، العقلية، التي جاءت لهداية الناس.

فهذه المدرسة التي جاءت لهداية الناس، والتي لا تحمل في مشروعها العنف، بل بالعكس هي جاءت بالسلام وتحمل السلام، وتريد السلام والخير والإصلاح، هل من الممكن أن تستبيح الدماء والأعراض والأموال؟ هل هذا معقول؟!

إنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم حينما قال: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» أراد أن يقول للعالم كله، أيها الناس إنّي لم أبعث لاستباحة الدماء والأعراض، ولم أبعث للعنف، ولم أبعث لهتك الحرمات؛ بل بعثت لحفظ الدماء، وحفظ الأعراض، وحفظ الأموال؛ وهذا هو الفكر الصحيح للإنسانية.

وقد جاء أهل البيت عليهم السلام بالتركيز على العلاقات الاجتماعية، فيما بين الفرد والفرد وبين العائلة والأخرى، وبين المجتمعات فيما بينهم.

فتصحيح مسير العلاقات الاجتماعية والفردية والعائلية والدولية مبنية على ضوابط وأسس وأصول جاء بها أهل البيت عليهم السلام.

فكلامهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لا يخالف القرآن أبداً، لأنهما لا يفترقان.

فإذا كان شيئان لا يفترقان، هل من الممكن أن يكونا ضدين؟! فهذا لا يعقل.

بقلم: الشيخ محمد السند



العيش البسيط

تبنّى الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام سياسة مع نفسه ترتكز على الزهد الصادق بكل ما يطمع به الطامعون من مال وملذات وزخرف، فلقد عاش أمير المؤمنين عليه السلام في بيت متواضع لا يختلف عمّا يسكنه فقراء الأمة، وكان يأكل خبز الشعير، تطحنه زوجته أو يطحنه بيده سواء في ذلك قبل خلافته، أو بعدها.

و كان يلبس أخشن الألبسة وأبسطها، فكان مبدؤه الثابت في هذا المضمار.

ففي كتاب له إلى عثمان بن حنيف يقول: «أَلاَ وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدِ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْه، وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصَيْه؛ أَلاَ وَإِنَّكُمْ لاَ تَقْدِرُونَ عَلَى ذلِكَ، وَلكِنْ أَعِينُونِي بِوَرَع وَاجْتِهَاد، وَعِفَّة وَسَدَاد؛ فَوَ اللهِ مَا كَنَزْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تِبْراً، وَلاَ ادَّخَرْتُ مِنْ غَنَائِمِهَا وَفْراً، وَلاَ أَعْدَدْتُ لِبَالِي ثَوْبِي طِمْراً، وَلاَ حُزْتُ مِنْ أَرْضِهَا شِبْراً، وَلاَ أَخَذْتُ مِنْهُ إِلاَّ كَقُوتِ أَتَان دَبِرَة، وَلَهِيَ فِي عَيْنِي أَوْهَى وَأَهْوَنُ مِنْ عَفْصَة مَقِرَة». (نهج البلاغة:رقم الكتاب٤٥)

لم يعط الإمام سلام الله عليه لهذه الدنيا أهميّة بقدر ما كان وصيّته لولاته بإعانته عليه السلام بالورع والاجتهاد، والسير بسيرته ومنهجه في التعامل مع الرعية والناس.

وقد أكّد عليه السلام في كتابه إلى عثمان بن حنيف على ضرورة اتخاذ هذه الدنيا بمثابة المكان الواهي والوهن الذي لا يمكن الاعتماد عليه.

فقد ذكر في كتابه عليه السلام أنّه لم يدّخر من هذه الدنيا ومن غنائمها بمقدار فتات من الذهب والفضة، ولم يكن يجمع ويكثر من الغنائم، ولم يعدّ للحصول على الجاه ولا السلطة ولا الأموال الطائلة، والحال أنّ بيده السلطة التكوينية والتشريعية، وقد خلق الله تبارك وتعالى هذه الدنيا من أجله وأجل ولده الأئمة الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم، لكن الناس لم يعرفوا قدره ولم يعظّموا شأنه.

وقد شبّه هذه الدنيا من زبرجها وما فيها بالأنف الذي يجتمع فيه الماء، فالدنيا هي كالأنف وما في هذه الدنيا من الذهب والفضة والغنائم هي كالماء الذي في جوف الأنف.

فبمقدورنا أن نلمس سياسة الإمام عليه السلام هذه مع نفسه من خلال المصاديق التالية:

فعن هارون بن عنترة عن أبيه قال: «دخلت على علي بالخورنق، و هي في فصل شتاء، وعليه خلق قطيفة، فقلت: يا أمير المؤمنين! إن الله قد جعل لك ولأهلك في هذا المال نصيباً، وأنت تفعل هذا بنفسك!! فقال

عليه السلام: «والله ما أرزؤكم أنقصكم شيئاً، وما هي إلا قطيفتي التي أخرجتها من المدينة». (تذكرة الخواص:١١٣)

وقد خاطبه عاصم بن زياد يوماً بقوله: يا أمير المؤمنين! هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك، فأجابه علي عليه السلام: «ويحكم إني لست كأنت، إن الله تعالى فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس كي لا يتبيغ بالفقير فقره». (نهج البلاغة:٢٠٩)

فهو عليه السلام أمير المؤمنين وهو وصي رسول رب العالمين محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وكيف لا تكون سيرته وحياته كما ذُكر وقد تربى في حجر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وتعلّم منه وأخذ سيرته من سيد الخلق أجمعين.

فقد جعل الله للناس أئمة منهم يدعون إلى العدل والصلاح ويأمرون الناس بالمعروف وينهون عن المنكر، فعلى إمام العدل أن يرعى الناس من المساكين والفقراء وأن يشعر بمعاناتهم، لأنّه المسؤول عنهم، وهذه سيرة الأنبياء والأوصياء، لأنّهم يرون هذه الدنيا معبراً للوصول إلى الآخرة.

وعن سويد بن غفلة قال: دخلت على علي عليه السلام يوماً و ليس في داره سوى حصير رث وهو جالس عليه، فقلت: يا أمير المؤمنين! أنت ملك المسلمين والحاكم عليهم وعلى بيت المال، وتأتيك الوفود وليس في بيتك سوى هذا الحصير؟ فقال عليه السلام: «يا سويد! إنّ اللبيب لا يتأثث في دار النقلة وأمامنا دار المقامة، قد نقلنا إليها متاعنا، ونحن منقلبون إليها عن قريب». (تذكرة الخواص:١١٥)

إنّ الدنيا دار فناء والبقاء في دار الآخرة، وعلى الإنسان أن ينقل متاعه وحمله إلى الآخرة، فإنّ عمله في هذه الدنيا سينعكس في الآخرة، إذا كان عمله صالحاً فسيرى صلاح حاله في الآخرة، وإذا كان عمله سيئاً فسيرى نتيجة أعماله، فالانقلاب والانتقال إلى الآخرة ليس ببعيد عن أي شخص، سواء كان فقيراً أو غنياً، وقد قال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾. [النساء:٧٨]

فإنّ الموت لا مفرّ منه، والوسيلة الوحيدة للانتقال من هذه الدنيا إلى الآخرة أو ما بينهما وهو البرزخ، فلو كان الإنسان على أعلى برج في العالم أو على أعلى قمّة في العالم فإنّه سيموت حتماً لا ريب في ذلك.

وها هو علي عليه السلام يخرج سيفه ليبيعه في السوق كي يشتري بثمنه إزاراً، و هو أمير المؤمنين و زعيم الأمة الإسلامية الذي تجبى إليه الأموال من أكثر بقاع العالم الإسلامي.

فعن أبي رجاء قال: أخرج علي عليه السلام سيفاً إلى السوق فقال:



«من يشتري مني هذا؟ فو الذي نفس علي بيده لو كان عندي ثمن إزار ما بعته»!!! فقلت له: أنا أبيعك إزاراً وأنسؤك ثمنه إلى عطائك، فدفعت إليه إزاراً إلى عطائه، فلما قبض عطاءه دفع إليّ ثمن الإزار.(شرح نهج البلاغة:٢/٢٠٠)

فإنّ عليه السلام لا يأخذ من فيئهم شيئاً، وإن قدر له الخروج من الكوفة، فلا يخرج إلا بالذي جاء به من المدينة المنورة: راحلته ورحله وغلامه.

فكانت نفقته تأتيه من غلته بالمدينة بينبع، وكان يطعم الناس منها الخبز واللحم، ويأكل هو الثريد بالزيت.



ولشدة حرصه عليه السلام على سلوك سبيل رسول الله صلى الله عليه وآله في عدله وزهده، أشار عقبة بن علقمة بقوله: دخلت على علي عليه السلام فإذا بين يديه لبن حامض، آذتني حموضته، وكسر خبز يابس، فقلت: يا أمير المؤمنين! أتأكل مثل هذا؟ فقال لي: «يا أبا الجنوب! كان رسول الله يأكل أيبس من هذا، و يلبس أخشن من هذا»، وأشار إلى ثيابه، «فإن أنا لم آخذ بما أخذ به خفت ألا ألحق به».(شرح نهج البلاغة:٢/٢٠١)

فكان عليه السلام يعيش حياته كحياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان ينتظر بفارق الصبر اليوم الذي يلتحق به صلى الله عليه وآله وسلم، كما كان يحب أن لا يكون قد أحسّ بالراحة في هذه الدنيا، كما أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يذق طعم الراحة والحلاوة فيها.

وقد كان عليه السلام في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتبعه كما تتبع الفصيل أثر أمه، فعنه عليه السلام قال: «وَلَقَدْ كُنْتُ أَتْبَعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّهِ يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عَلَماً وَيَأْمُرُنِي بِالاقْتِدَاءِ بِهِ».(نهج البلاغة:٣٠٠)

ولعظيم إيثاره للأمة على نفسه ما رواه عبد الله بن الحسين بن الحسن عليه السلام قال: أعتق علي عليه السلام في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألف مملوك مما عملت يداه، وعرق جبينه، ولقد ولي الخلافة، وأتته الأموال، فما كان حلواه إلا التمر ولا ثيابه إلا الكرابيس».(شرح نهج البلاغة:٢/٢٠٢)

فالحياة في هذه الدنيا كانت عند أمير المؤمنين عليه السلام لا تساوي شيئاً، وقد عبّر عنها بقوله عليه السلام في خطبه المعروفة بالشقشقة: «... وَالَّذي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ لَوْلَا حُضُورُ الحَاضِرِ وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بوجود الناصر وَمَا أَخَذَ الله تَعَالَى عَلَى الْعُلَمَاءِ أَنْ لَا يَقرُّوا عَلَى كظَّة ظَالم وَلَا سَغَب مَظْلُوم لأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَاربِهَا وَلَسَقَيْتُ آخرَهَا بكَأْس أَوَّلهَا وَلأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَة عَنْز».(معاني الأخبار:٣٦٢)

وعن سفيان الثوري عن عمر بن قيس قال: رئي على علي عليه السلام إزار مرقوع، فعوتب في ذلك، فقال: «يخشع له القلب، ويقتدي به المؤمن».(خصائص الأئمة عليهم السلام:٩٦)

فمن الأمور التي تدل على زهد الإنسان وعدم اهتمامه بالدنيا وزبرجها هو عدم الاهتمام بالمظهر الخارجي لنفسه، وذلك لا يعني عدم الترتيب والنظام للإنسان، بل هو عدم الاهتمام لكيفية ما يلبسه الإنسان، فإن الإزار المرقوع الذي قد رقّع في عدة أماكن، يوجب الخشوع لقلب الإنسان، ويبيّن زهد الإنسان في عدم اهتمامه بالدنيا،

وبالملابس الأنيقة والحديثة والملابس الكذائية.

فلقد بلغ في شدة زهده عليه السلام ابتغاء لوجه الله تعالى ما يتجلى فعبر عن ذلك: «وَاللهِ لَقَدْ رَقَّعْتُ مِدْرَعَتِي هَذِهِ حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِهَا وَلَقَدْ قَالَ لِي قَائِلٌ أَلاَ تَنْبِذُهَا عَنْكَ فَقُلْتُ [اعْزُبْ] اغْرُبْ عَنِّي فَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى».(نهج البلاغة:٢٢٩)

أمّا صدقاته التي تصدق بها أو وقفها للمساكين، فقد ذكر المؤرخ عمر بن شبة المتوفى عام (٢٦٢هـ) قائمة طويلة بها، حتى أنّه عندما بشر بتفجر الماء من إحدى عيون ينبع، وهي أراض خصبة مليئة بالنخل والزروع كان قد وقفها عليه السلام للمسلمين، أبدى سروره (ثم تصدق بها على الفقراء والمساكين وفي سبيل الله، وأبناء السبيل القريب والبعيد، في السلم والحرب، ليوم تبيض فيه وجوه وتسود وجوه، ليصرف الله بها وجهي عن النار، ويصرف النار عن وجهي).(تاريخ المدينة:١٠/٢٢٠، و٣٤٨)

مساواة عشيرته عليه السلام بسائر الناس

أمّا منهاج أمير المؤمنين عليه السلام الذي سلكه في أهل بيته وقرابته فلم يكن بعيداً عن منهاجه مع نفسه إلا من حيث الدرجة، فقد كان مبنياً على أساس مساواتهم بالأمة في الحقوق والواجبات، بل إن الذي يتحملونه من مهام من أجل حماية الرسالة والمسيرة الإسلامية أكثر بكثير مما ينالون من حقوق.

فقد كان الإمام عليه السلام حريصاً على معاملة ذويه في مسألة الحقوق كما لو كانوا من عامة الناس، فلا يفضلهم، بعطاء، ولا يميزهم بحق، وسلك معهم أسلوب التدريب والإعداد للعمل بمنهاجه معهم، بل كان يبدو شديداً مع بعضهم من أجل أن ينتهج الخط الذي رسمه لمتعلقيه وأهل قرابته، وهاك صوراً من منهاجه ذلك:

قال مسلم صاحب الحناء: (لما فرغ علي عليه السلام من أهل الجمل أتى الكوفة، ودخل بيت المال، ثم قال: «يا مال! غرّي غيري»، ثم قسمه بيننا، ثم جاءت إحدى بنات قريش فتناولت منه شيئاً، فسعى وراءها ففك يدها ونزعه منها، فقلنا: يا أمير المؤمنين! إنّ لها فيه حقاً، قال عليه السلام: «إذا أخذ أبوها حقه فليعطها ما شاء»).(أنساب الأشراف:٢/١٣٢)

وروى هارون بن سعيد أن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قد قال له: يا أمير المؤمنين! لو أمرت لي بمعونة أو نفقة، فو الله ما لي نفقة إلا أن أبيع دابتي!! فقال الإمام عليه السلام: «لا والله ما أجد لك شيئاً إلاّ أن تأمر عمك أن يسرق فيعطيك».(شرح نهج البلاغة:٢/٢٠٠)

وجاءه أخوه عقيل وكان ضريراً وما يطلب صاعاً من القمح من بيت مال المسلمين زيادة على حقه وظل يكرر طلبه على علي عليه السلام، فما كان من الإمام أمير المؤمنين إلا و أحمى له حديدة على النار وأدناها منه، ففزع منها عقيل، ثم وعظه: «يا عقيل! أتئن من حديدة أحماها إنسانها لمدعبه، وتجرني إلى نار سجرها جبارها من غضبه، أتئن من الأذى ولا أئن من لظى».(بحار الأنوار:٤٠/٩٨)

وعن أبي صادق عن علي عليه السلام: أنه تزوّج ليلى، فجعلت له حجلة، فهتكها، وقال: «حسب آل علي ما هم فيه». (بحار الأنوار:٤٠/٣٢٧)

وعن الحسن بن صالح بن حي قال: (بَلَغَنِي أَنَّ عَلِيّاً تَزَوَّجَ امْرَأَةً فَنَجَّدَتْ لَهُ بَيْتاً فَأَبَى أَنْ يَدْخُلَه).(مناقب آل أبي طالب:٢/١٠٠)

وعن كلاب بن علي العامري قال: (زفت عمتي إلى علي عليه السلام على حمار بأكاف تحتها قطيفة، وخلفها قفة معلقة!!»).(بحار الأنوار:٤٠/٣٢٨)

هكذا كان منهاج علي عليه السلام مع أهل بيته وذوي قرابته لا يفرط من أجلهم بحق من حقوق المسلمين أبداً، بل يعمل كل ما من شأنه رفع مستواهم باتجاه مبادئه في الزهد، وسياسته مع نفسه في سبيل الله تعالى، ولمصلحة مجموع الأمة.

ولقد كان منهجه واضحاً كل الوضوح لا لبس فيه ولا غموض ولا يخضع لعاطفة أو مساومة أبداً: «وَاللهِ لأَنْ أَبِيتَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهَّداً أَوْ أُجَرَّ فِي الأَغْلاَلِ مُصَفَّداً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِماً لِبَعْضِ الْعِبَادِ وَغَاصِباً لِشَيْءٍ مِنَ الْحُطَامِ وَكَيْفَ أَظْلِمُ أَحَداً لِنَفْسٍ يُسْرِعُ إِلَى الْبِلَى قُفُولُهَا وَيَطُولُ فِي الثَّرَى حُلُولُهَا».(نهج البلاغة:٢٢٤)

وهذا السبيل الذي اختاره الإمام عليه السلام إنما يمثل أحد مصاديق العدل الاجتماعي الشامل الذي حرص أمير المؤمنين عليه السلام على تجسيده واقعاً حياً في دنيا الناس.

شعبة الدراسات والبحوث/
عن مصادره بتصرف



تقديـــر الأرزاق والآجـــــال في نهـج البـلاغـة

خلق الله الخلق وتكفّل برزقهم، وهو بمقتضى علمه وعدله يرزق من يشاء ويقدّر سعة رزقه.

ولأنّه حكيم فتقديره لأرزاق العباد وفق حكمة إلهية فضلاً عن أنّها لمصلحة العبد.

فالمؤمن هو من يتوكّل على الله، ويرضى بما قضى الله وقدّر له من الرزق.

وإنّ من الخطأ أن يهتم الإنسان برزقه وهو مكفول له، ويترك العمل لله وهو المطلوب منه.

قال الإمام علي: «أَلاَ إِنَّ الأَمْرَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ كُلَّ يَوْم كَقَطْرِ الْمَطَرِ إِلَى كُلِّ نَفْس بِمَا قَدَّرَ اللهُ لَهَا، مِنْ زِيَادَة أَوْ نُقْصَان فِي أَهْل أَوْ مَال أَوْ نَفْس، فَإِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ مُصِيبَةٌ فِي أَهْل أَوْ مَال أَوْ نَفْس، أَوْ رَأَى عِنْدَ آخَرَ غَفِيرَةً فَلاَ تَكُونُ لَهُ فِتْنَةً». (قرب الإسناد:٣٨)

فبيّن الإمام عليه السلام أنّ ليس هناك مفرّ من الموت فلا بقاء لأحد في هذه الدنيا، فقال عليه السلام: «فَمَا يَنْجُو مِنَ الْمَوْتِ مَنْ خَافَهُ وَلاَ يُعْطَى الْبَقَاءَ مَنْ أَحَبَّه». (نهج البلاغة:٨١)

من أحبّ الموت واستأنس به لا يمنح البقاء في الدنيا، وقد يموت في أي لحظة ويأتي الأجل بغتة، ومن خاف الموت لا ينجو منه بسبب خوفه، ولا مفرّ منه، يأتكم الموت ولو كنتم في بروج مشيّدة.

وقد أوصى أمير المؤمنين علي عليه السلام العباد في ذكر الآجال والموت وأنّ الله ضرب الأمثال ووقّت الآجال وحدّد الموت لكل الناس فقال عليه السلام: «أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ الَّذِي ضَرَبَ الأَمْثَالَ، وَوَقَّتَ لَكُمُ الآجَالَ، وَأَلْبَسَكُمُ الرِّيَاشَ، وَأَرْفَغَ لَكُمُ الْمَعَاشَ، وَأَحَاطَ بِكُمُ الإِحْصَاءَ، وَأَرْصَدَ لَكُمُ الْجَزَاءَ، وَآثَرَكُمْ بِالنِّعَمِ السَّوَابغِ، وَالرِّفَدِ الرَّوَافِغ، وَأَنْذَرَكُمْ بِالْحُجَجِ الْبَوَالِغ، فَأَحْصَاكُمْ عَدَداً وَوَظَّفَ لَكُمْ مُدَداً، فِي قَرَارِ خِبْرَة وَدَارِ عِبْرَة، أَنْتُمْ مُخْتَبَرُونَ فِيهَا وَمُحَاسَبُونَ عَلَيْهَا». (نهج البلاغة:١٠٨)

إنّ الله تعالى ضرب الأمثال في القرآن الكريم لتقريب المعنى وهو إبراز معنى حادثة أو أمر ما في صورة حسيّة لتقريب معنى المطلوب، حيث الإنسان يلمس بالمثل صورة مشابهة أو نظيرة للواقع.

وقد أوضح الله تعالى أن ضرب الأمثال بأي شيء صغيراً كان أو كبيراً، ذو منفعة وفائدة؛ وذلك لأن الله تعالى خالق كل شيء، ولله في خلقه شؤون، فيجعل ما شاء من المنفعة والفائدة فيما شاء ومن شاء من خلقه، ويضربه مثلاً للناس يهتدون به، وليس هذا نقصاً بل إن من الكمال والفضل أن يجعل الله في المخلوقات الضعيفة والصغيرة

في العرف فوائد ومنافع.

فهو تبارك وتعالى برحمته ألبس الإنسان اللباس الفاخر وأورى به عورته، وقد زاد له في معاشه وجعله من الحلال الطيب، وأبعده عن الخبائث والنجاسات، وذلك تحنناً منه ورحمة، وقد أبلغ الناس وعلّمهم الإحصاء والعدد، وقد نصب لكل عمل أمر بها مكافأة، وفي المقابل لكل عمل نهى عنه عقوبة، ليكون هناك تمييزٌ بين الخير والشر، وقد جاء في القرآن الكريم: ﴿...قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾.[الزمر:٩]

وقد أوصى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الناس بتقوى الله لأنه تعالى قد فضّل البشر واختارهم على جميع مخلوقاته فأوسع لهم النّعم وأتمّها، فهو تعالى المعين للوصول إلى عيشٍ هنيء وهو سبحانه وتعالى الذي سهّل للإنسان العيش الواسع والحياة الرغيدة، وقد أنذر البشر وأخبرهم ونبّههم بالأدلة والبراهين البالغة.

لقد عدّ الإمام عليه السلام مجموعة من النعم التي أنعم الله تعالى على الإنسان وحثّ على أنّ الله تبارك وتعالى برحمته جعل هذه النعم بتمامه وكماله قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً﴾.[المائدة:٣]

جاء الإمام عليه السلام بهذه الوصية تذكيراً بنعمة الله تعالى بخلق الأبدان، وما تشتمل عليه من المنافع، ففائدة الأسماع أن تعي ما خلقت لأجله، وفائدة الأبصار أن يدرك بها الإنسان عجايب مصنوعاته تعالى فيحصل له منها عبرة، فهذه من النعم الإلهية على الإنسان.(شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني:٢/٢٤٩)

وقال أيضاً عليه السلام في تقدير أعمار البشر: «وَقَدَّرَ لَكُمْ أَعْمَاراً سَتَرَهَا عَنْكُم».(نهج البلاغة:١١٠)

وقدر الله تعالى الأعمار وأخفاها عن البشر، وذلك لبيان أنّ لحياة الإنسان أجلاً يسدد الحساب عند حلوله، ولكن متى وأين يحل ويجب ذلك في علم الله وحده بقوله: ﴿وما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ كِتاباً مُؤَجَّلاً﴾.[آل عمران:١٤٥]. (في ظلال نهج البلاغة لمغنية:١/٣٩٧)

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ ما فِي الأَرْحامِ وَما تَدْرِي نَفْسٌ ماذا تَكْسِبُ غَداً وَما تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾. [لقمان:٣٤]

إنّ ستر الآجال والموت عن البشر لحكمة إلهية، فبرحمته غيّب عن الإنسان أجله، ووقت موته وكيفية موته.

لأنّ تفكير الإنسان حين إدراكه وعلمه بساعة موته والأرض التي فيها يموت يسبب له عدم الطمأنينة، وعدم الراحة في عبادته وفي مأكله ومشربه وعيشه، وكذلك في علاقاته العائلية والاجتماعية؛ فضلاً عن أنّه سيخسر الحياة السعيدة في الدنيا.

فاقتضت الحكمة الإلهية أن يجهل الناس زمان ومكان موتهم، فقال تعالى: ﴿وَما تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾.[لقمان:٣٤]

ولعلَّ الحكمة في ذلك أن يكون الإنسان على استعداد لاستقبال الموت في أيِّ وقت جاء وهو على طاعة الله، ولو علم الإنسان بزمن موته فإنَّ ذلك يشجّعه على الفجور والعصيان متكلاً على التوبة والإنابة والتسويف قبل مدّة من حلول أجله.

وقال عليه السلام في وصفه لله سبحانه وتعالى: «فَإِنَّهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً وَلَمْ يَتْرُكْ شَيْئاً مِنْ أَمْرِكُمْ سُدًى قَدْ سَمَّى آثَارَكُمْ وَعَلِمَ أَعْمَالَكُم».(وقعة صفين:١٠)

خلق الله تعالى الإنسان وجعله أفضل المخلوقات فيما لو عبد الله وأطاعه، فلم يخلقه عبثاً ولا جزافاً ولا من دون حكمة وسبب، وإلاّ لكان الباري عزّ وجل - والعياذ بالله - غير حكيم.

فالمخلوق البشري الإنسان الجهول ذو الشقاق والآثام خلق من أجل العبادة، فقال تعالى: ﴿وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾.[الذاريات:٥٦] وكذلك قال تعالى: ﴿وَما خَلَقْنَا السَّماواتِ وَالأَرْضَ وَما بَيْنَهُما لاعِبِينَ﴾. [الدخان:٣٨]

فلم يخلق الله تعالى المخلوقات فضلاً عن الإنسان من أجل اللعب واللهو، بل خلقها من أجل العبادة، وبداية

العبادة هي معرفة، أي معرفة الله تبارك وتعالى الذي على الإنسان عبادته.

فللوصول إلى العبادة الحقيقية يجب معرفة المعبود، وهذه المعرفة لا يصل إليها الإنسان إلا باتباع أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وكذلك وضّح الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه على أنّ الله تبارك وتعالى برحمته ورأفته لم يترك المخلوقين، فضلاً عن الإنسان.

لقد هيأ الله تعالى لهذا الإنسان كل ما يحتاجه في هذه الدنيا، من المأكل والمشرب والملبس والمنام، وكذلك أعطاه من الشهوات وجعل لها طريقاً صالحاً وحلالاً.

فلم يترك الله تعالى شيئاً إلاّ وخلقه للإنسان، ولم يترك شيئاً من أمور الإنسان، سواء كانت دنيوية أم أخروية، إلاّ وجعلها له، وسهّل عليه الوصول إليها، بإطاعته للخالق الجبار.

وقوله عليه السلام «قد سمّى آثاركم» يفسر بتفسيرين: أحدهما أنّه تعالى قد بيّن لكم أعمالكم خيرها وشرها أي ميّزها عن بعضها وأوضح طريق الخير وشخّصه عن طريق الشر، كقوله تعالى: ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾. [البلد:١٠]

فعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّه عليه السلام فِي قَوْلِه تعالى ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ قَالَ: «نَجْدَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ».(الكافي:١/١٦٣)

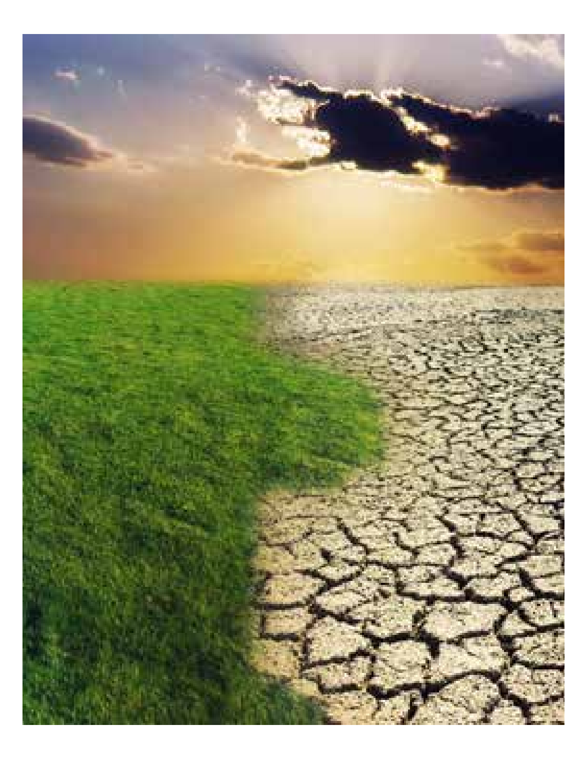
والثاني قد أعلى مآثركم أي رفع منازلكم إن أطعتم ويكون سمّى بمعنى أسمى كما كان في الوجه الأول بمعنى أبان وأوضح.(شرح نهج البلاغة للمعتزلي:١٢/٤٥)

وقوله عليه السلام «قد علم أعمالكم»، أي: قد علم ما سيفعله الإنسان من الخيرات والموبقات، ويعلم الله ما في الغيب وما تخفي الصدور.

فعَنْ مُحَمَّد بْنِ أَبِي عُمَيْرٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ مُوسَى ابْنَ جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ مَعْنَى قَوْلِ رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم: «الشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّه وَالسَّعِيدُ مَنْ سَعِدَ فِي بَطْنِ أُمِّه؟» فَقَالَ عليه السلام: «الشَّقِيُّ مَنْ عَلِمَ اللَّه وَهُوَ فِي بَطْنِ أُمِّه أَنَّه سَيَعْمَلُ أَعْمَالَ الأَشْقِيَاءِ، وَالسَّعِيدُ مَنْ عَلِمَ اللَّه وَهُوَ فِي بَطْنِ أُمِّه أَنَّه سَيَعْمَلُ أَعْمَالَ السُّعَدَاءِ»، قُلْتُ لَه: فَمَا مَعْنَى قَوْلِه صلى الله عليه وآله وسلم: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَه»؟ فَقَالَ عليه السلام: «إِنَّ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ الْجِنَّ وَالإِنْسَ لِيَعْبُدُوه وَلَمْ يَخْلُقْهُمْ لِيَعْصُوه وَذَلِكَ قَوْلُه عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ فَيَسَّرَ كُلاًّ لِمَا خُلِقَ لَه فَالْوَيْلُ لِمَنِ اسْتَحَبَّ الْعَمَى عَلَى الْهُدَى».(التوحيد:٣٥٦)

وأوضح عليه السلام في تقدير أرزاق الخلائق وتقدير أقواتهم بقوله: «عِيَالُه الْخَلَائِقُ ضَمِنَ أَرْزَاقَهُمْ وَقَدَّرَ أَقْوَاتَهُمْ».(نهج البلاغة:١٢٤)

فالله تعالى يضمن الرزق للإنسان، ويتكفّل برزقه فهو الرزاق وحده لا سواه.



فالخلائق كلهم عياله، حينما يكون رزق الإنسان مضموناً وقوته اليومي مقدّراً فلماذا يتعب الإنسان نفسه ويجهد طاقاته في اليوم ليحصل على شيء أكثر مما قدر الله له من الرزق، فلا يكون إلا ما قسّم الله له تعالى من الأرزاق والأموال والقوت له ولعائلته.

فقسّم الله تعالى الأرزاق وكثّرها وقللها بقدر ما يشاء بيده كل شيء وهو على كل شيء قدير، فقال عليه السلام في ذلك: «وَقَدَّرَ الأَرْزَاقَ فَكَثَّرَهَا وَقَلَّلَهَا وَقَسَّمَهَا عَلَى

الضِّيقِ وَالسَّعَةِ... وَخَلَقَ الآجَالَ فَأَطَالَهَا وَقَصَّرَهَا وَقَدَّمَهَا وَأَخَّرَهَا».(نهج البلاغة:١٣٤)

فالوسعة في الرزق بيده سبحانه وتعالى؛ فحينما يعطي لأناس ولا يعطي لغيرهم بالتأكيد من أجل حكمة ربانية أو مصلحة إلهية فيها رضا الله تعالى وصلاح الإنسان.

فتارة الله تبارك وتعالى يضيّق على الإنسان رزقه وتارة أخرى يوسّع عليه.

فضلاً عن أنّ هناك أموراً يمكن أن يأتي بها الإنسان في هذه الدنيا لتوسيع رزقه وقد ذكرت هذه العبادات والأعمال الخاصة بتوسيع الرزق ووردت عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، فمنها زيارة الإمام الحسين عليه السلام، وصلاة الليل، والصدقة، والخمس، والزكاة، وغير ذلك من الأمور الواجبة والمستحبة التي تزيد في رزق الإنسان.

ولما كانت هناك أمور تزيد في الرزق فهناك أمور أيضاً تضيّق على الإنسان رزقه، وهي من الأعمال المحرّمة التي حرّمها الله تعالى على الإنسان، كالزنا، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، وأكل الحرام.

إنّ الرزق الذي يقدّره الله تبارك وتعالى للإنسان هو المقصود بالرزق الحلال حصراً، فالله تبارك وتعالى لا يرزق الإنسان إلا من الحلال، لكن الإنسان الجهول هو الذي يطلب رزقه من الحرام، ويبحث عن الطرق المختلفة لكسب رزق أكثر مما هو مقدّر له، والحال أنّ الرزّاق هو الله تبارك وتعالى وقد قدّر وقسّم له قوته ورزقه.

كذلك طوّل الله آجال بعض الناس وقصّر أعمار البعض الآخر، وذلك لحكمة إلهية، وذلك لعلمه بمصلحة الإنسان، فضلاً عن أنّ تقديم وتأخير الموت للمخلوقات أيضاً فهي بيده عزّ وجل، بقوله: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.[الأعراف:٣٤] وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾.[الأنعام:٢]

فعن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ﴾ قال: «الأجل الذي غير مسمى موقوف يقدم منه ما شاء [ويؤخر منه ما شاء] وأما الأجل المسمى فهو الذي ينزل مما يريد أن يكون من ليلة القدر إلى مثلها من قابل»، قال: «وذلك قول الله ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾».(بحار الأنوار:٣/ ٤٠)

فالأجل الموقوف هو الذي بيده سبحانه وتعالى إن شاء يؤخر الموت عن الإنسان وإنْ شاء قدّمه فهذا منوط بمشيئته عزّ وجل.

أما الأجل المسمى هو الأجل المحدّد والمحتوم والذي شخّص وهو قد يعيّن في ليلة القدر من كل شهر رمضان المبارك.

وعن حمران قال سألت أبي عبد الله عليه السلام عن قول الله ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ﴾ فقال عليه السلام: «المسمى ما سمي لملك الموت في تلك الليلة، وهو الذي قال الله ﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ وهو الذي سمي لملك الموت في ليلة القدر، والآخر له فيه المشية، إن شاء قدمه وإن شاء أخره».(بحار الأنوار:٣/ ٤١)

وقال عليه السلام عن الآجال: «هما أجلان، أجل موقوف يصنع الله ما يشاء، وأجل محتوم».(البحار:٣/ ٤٢)

وهو الذي لابد منه ولا مفرّ منه.

وعنه عليه السلام قال: «أما الأجل الذي غير مسمى عنده فهو أجل موقوف يقدم فيه ما يشاء و يؤخر فيه ما يشاء، وأما الأجل المسمى فهو الذي يسمى في ليلة القدر».(البرهان:١/ ٥١٧)

وعن أبي عبد الله عليه السلام أيضاً في قوله تعالى ﴿قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ﴾ قال: «الأجل الأول هو ما نبذه إلى الملائكة والرسل والأنبياء، والأجل المسمى عنده هو الذي ستره الله عن الخلائق».(تفسير العياشي:١/ ٣٥٤)

فهناك أجل قد عهده الله تعالى لملائكته ورسله وأنبيائه، وهو مختلف عمّا ستره عنهم وعن الناس أجمعين.

جعلنا الله من المتمسكين بولاية أهل البيت عليهم السلام ومن السائرين في دربهم إن شاء الله تعالى.

شعبة الدراسات والبحوث/
عن مصادره بتصرف



حكم إطاعة حكام الجور والطواغيت

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ .[هود:١١٣]

فقد وردت روايات في خصوص هذه الآية على أنّ من أحب بقاء الحكام الظلمة فهو منهم ومن كان منهم كان وروده في النار، بل وتمني البقاء للحصول على منافع شخصية من الموبقات الكبيرة، فعَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ رَفَعَهُ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّه عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ ، قَالَ: «هُوَ الرَّجُلُ يَأْتِي السُّلْطَانَ فَيُحِبُّ بَقَاءَهُ إِلَى أَنْ يُدْخِلَ يَدَهُ إِلَى كِيسِه فَيُعْطِيَه». (الكافي:٥/١٠٩)

وقال تعالى أيضاً: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ .[النساء:٦٠]

إنّ اللجوء إلى الحاكم الظالم والجائر والطاغوت الذي لا يحكم بحكم الله تعالى، هو ما يعرِّض الإنسان إلى سخط الله عزّ وجل والدخول في النار.

أن يجعل الإنسان حاكماً جائراً ويسند إليه حكمه أو التحاكم بينه وبين غيره، أو التلاعب بأمور المسلمين، فهذا أيضاً مشاركة مع الظلم والظالم والحاكم الطاغوت.

قَالَ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَ ﴿ وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ ، وَقَالَ: مَنْ وَلِيَ جَائِراً عَلَى جَوْرٍ كَانَ قَرِينَ هَامَانَ فِي جَهَنَّمَ وَمَنْ بَنَى بُنْيَاناً رِيَاءً وَسُمْعَةً حُمِّلَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الأَرْضِ السَّابِعَةِ وَهُوَ نَارٌ تَشْتَعِلُ ثُمَّ تُطَوَّقُ فِي عُنُقِهِ وَيُلْقَى فِي النَّارِ فَلاَ يَحْبِسُهُ شَيْءٌ مِنْهَا دُونَ قَعْرِهَا إِلاَّ أَنْ يَتُوبَ».(من لا يحضره الفقيه:٤/١١)

وعَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: قُلْتُ لأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ ﴿ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْباطِلِ وَتُدْلُوا بِها إِلَى الْحُكّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوالِ النّاسِ﴾ فَقَالَ: «يَا أَبَا بَصِيرٍ إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ عَلِمَ أَنَّ فِي الأُمَّةِ حُكَّاماً يَجُورُونَ أَمَا إِنَّهُ لَمْ يَعْنِ حُكَّامَ الْعَدْلِ وَلَكِنَّهُ عَنَى حُكَّامَ الْجَوْرِ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ إِنَّهُ لَوْ كَانَ عَلَى رَجُلٍ حَقٌّ فَدَعَوْتَهُ إِلَى حَاكِمِ أَهْلِ الْعَدْلِ فَأَبَى عَلَيْكَ إِلاَّ أَنْ يُرَافِعَكَ إِلَى حَاكِمِ أَهْلِ الْجَوْرِ لِيَقْضُوا لَهُ كَانَ مِمَّنْ حَاكَمَ إِلَى الطَّاغُوتِ وَهُوَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحاكَمُوا إِلَى الطّاغُوتِ».(تهذيب الأحكام:٦/٢١٩)

وقوله عزّ وجل: ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقى ﴾.[البقرة:٢٥٦]

تبين هذه الآيات حرمة الركون إلى الظالم الجائر و الطاغوت، بل وجوب الكفر به والتمرد عليه.

ويدعي البعض أنه بمقتضى التمسك بوجوب حفظ النظام المدني من الأموال والأعراض والنفوس، يجب تولي الحاكم الجائر وطاعته ويلزم مشروعية حكومته للضرورة المزبورة.

لكن يرد عليه بأن ضرورة حفظ النظام أي علاقة لها مع مشروعية حكم الحاكم الجائر ومشروعية توليه والركون إليه قلباً وقالباً؟ بل غاية لزوم حفظ النظام هو لزوم الكف عما يسبب المزيد من الفساد والهرج والمرج إذا كان أهل الحق لا قدرة لهم على إزالة الجائر، ولزوم اعتماد جانب التقية (سياسة الأمن) لا الموالاة للظالم الجائر، وكم البون بعيد بين الأمرين.

بل إن حفظ النظام هو الذي يوجب إزالة النظام الجائر في جملة من الصور والموارد، كما أنّ حفظ النظام يقتضي دوام إنكار المنكر وهو على درجات بدءاً من القلب وهو لا يسقط بحال ثم اللسان (المعارضة الإعلامية) فاليد (المعارضة التغييرية) وذلك لأن الجور يتعدى على أوليات الحقوق في النظام الاجتماعي فكيف يتوهم أن حفظ النظام يقتضي ترك إنكار المنكر فضلاً عن اقتضائه التولي والذوبان في الجور والظلم.

فعَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ خَالِدٍ أَنَّهُ قَرَأَ أَبُو الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام: ﴿ ...فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطّاغُوتِ﴾ وَ - الطاغوت - هُمُ الَّذِينَ غَصَبُوا آلَ مُحَمَّدٍ حَقَّهُمْ ﴿ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقى ﴾ يَعْنِي الْوَلاَيَةَ ﴿ لا انْفِصامَ لَها ﴾ أَيْ حَبْلٌ لاَ انْقِطَاعَ لَهُ يَعْنِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَالأَئِمَّةَ بَعْدَهُ عليه السلام ﴿ اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وَهُمُ الَّذِينَ اتَّبَعُوا آلَ مُحَمَّدٍ عليهم السلام ﴿ يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِياؤُهُمُ الطّاغُوتُ﴾ هُمُ الظَّالِمُونَ آلَ مُحَمَّدٍ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوا مَنْ غَصَبَهُمْ ﴿ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُماتِ أُولئِكَ أَصْحابُ النّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾ وَالْحَمْدُ له رَبِّ الْعَالَمِينَ كَذَا نَزَلَتْ».(تفسير القمي:١/٨٤)

بقلم: محمد عبد الله



تعريف القلب والفؤاد

إنّ للقلب والفؤاد معانٍ كثيرة في اللغة العربية لغة واصطلاحاً.

فقد ورد في قواميس اللغة حول معنى كلمة المهجة قيل إنّها (دم القلب) وقيل أيضاً إنّها (خالصة القلب). والفؤاد: والجمع أفئدة.

يرى بعض اللغويين أن القلب والفؤاد بمعنى واحد، ويرى بعضهم أن أحدهما أخص من الآخر، «قال الأَزهري: ورأَيت بعضَ العرب يُسَمِّي لحمةَ القَلْب كُلها، شَحْمَها وحجابَها: قَلْباً وفُؤَاداً، قال: ولم أَرهم يَفْرِقُونَ بينهما؛ قال: ولا أُنْكِر أَن يكون القَلْبُ هي العَلَقة السوداءُ في جوفه»(لسان العرب:١/٦٨٧).

وقال الخطاب: (وزعم بعضهم أن الفؤاد غشاء القلب وأن القلب حبته وسويداؤه). (غريب الحديث:١/١٩٦)

وقال ابن منظور: (وَرُوِي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أَنه قال: «أَتاكم أَهل اليَمن، هم أَرَقُّ قلوباً، وأَلْيَنُ أَفئدةً»، فوَصَفَ القلوبَ بالرِّقة، والأَفْئِدَة باللِّين»، وكأَنَّ القَلْبَ أَخَصُّ من الفؤَاد في الاستعمال، ولذلك قالوا: أَصَبْتُ حَبَّةَ قلبه، وسُوَيْداءَ قلبه) (لسان العرب:١/٦٨٨)

وربما يكون القلب بمعنى الفؤاد تماماً. (مفردات القرآن:١/١١٤٢)

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «ألا وإن في الجسد مضغة... القلب» يدل على أن القلب المعنوي هو في القلب المادي الجسمي المسمى بالمضغة.

معنى القلب والفؤاد اصطلاحاً

والقلب اصطلاحاً: يأتي بمعانيه اللغوية، فيطلق على تلك المضغة المعروفة، ويطلق على ما يحصل من إدراك وتعقل في تلك المضغة، وبهذا الاعتبار عُرِّف القلب بأنه: (لطيفة ربانية لها بهذا القلب الجسماني الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان...). (التعريفات:٢٢٩/ برقم:١١٤٩)

وقال الجرجاني أيضاً: (ويسمى النفس الناطقة والروح باطنة والنفس الحيوانية مركبة) ومعنى ذلك في تعريف القلب أنه هو محل الإدراك الذي يصدر عنه النطق، ويستمد من الروح قواها، ومحل قيامها الجسم، فلولا الروح ما نطقت ولا أدركت، ولولا الجسم ما وَجَدَت الروح الآلة التي بها تدرك وتنطق. وهي المدرِك والعالم من الإنسان والمخاطَب والمطالَب والمعاتَب). (التعريفات:٢٣٠)

وقيل إنَّ القلب هو النفس، فيطلق على ما يحصل فيه التعقل والخواطر والميل والعاطفة والرغبة والهوى والحب والإرادة.

فنلاحظ أن العواطف والرغبات والميول تنسب إلى القلب إذا كانت متجهة نحو الخير والحق، وينسبونها إلى النفس إذا كانت متجهة نحو الشر والباطل، والنفس هنا ما هي إلا القلب. وليس ذلك بعيداً عن مصطلح الشرع فقد استعملت لفظة النفس للقلب فيه أحياناً، كقوله تعالى: ﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللهُ ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

لكن لا ينبغي أن يُظَنَّ أن هذا الاصطلاح مُلزم ومُضطرد، بل يمكن أن تُنسب معاني الخير والشر إلى النفس، كما يمكن أن تُنسب إلى القلب أيضاً.

فمن خلال استعراض النصوص الواردة في القلب؛ لا يبعد أن يكون القلب قد أطلق على أمرين: إمّا ليدل على القلب المتعلق بالقلب الحسّي، ويطلق ليدل على الأمور المعنوية غير الحسية التي تكون في باطن الإنسان، ولا تظهر، فيكون القلب شاملاً للخواطر والانفعالات النفسية والرغبات والإرادة والنية، وشاملاً للعقل وأعماله من تعقل وتفكر وتذكر وتدبر، وشاملاً للروح.

وهذا الفهم ليس بعيداً عن معاني اللغة، فقلب الشيء يطلق على داخله الذي يخفى وراء ظاهره، فيكون بمعنى الباطن(لسان العرب:١/٦٨٨)

كثيراً ما يقول الناس: قَلْبُ الشيء، ويقصدون داخله، ويكون للشيء ظاهر يُخفيه ويَحفظه.

قال ابن منظور: (وقَلْبُ كلّ شيء: لُبُّه، وخالِصُه، ومَحْضُه...).(لسان العرب:١/٦٨٩)

وفي الحديث: «إن لكلِّ شيء قَلْباً، وقلبُ القرآن يس».(لسان العرب:١/٦٨٦)

قلب النبي وفؤاده صلى الله عليه وآله

عَنْ جَعْفَر بْن مُحَمَّد عليهما السلام قَالَ: «حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ عَن الْحُسَيْن بْن عَلِيّ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: فَاطِمَةُ مُهْجَةُ قَلْبِي وَابْنَاهَا ثَمَرَةُ فُؤَادِي وَبَعْلُهَا نُورُ بَصَرِي وَالأَئِمَّةُ مِنْ وُلْدِهَا أُمَنَاءُ رَبِّي وَحَبْلُهُ الْمَمْدُودُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ مَن اعْتَصَمَ بِهِ نَجَا وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ هَوَى».(مائة منقبة من مناقب أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام:٧٦-٧٧)

وقد جاء النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في حديثه الشريف يطلق على ابنته فاطمة عليها السلام (بمهجة القلب).

إنّ للقلب عروقاً ودماً وشرايين، والعمل الرئيس للقلب هو ضخ الدم إلى جميع أجزاء البدن، فهناك أخطار فيما لو توقف القلب عن النبض.

فالزهراء سلام الله عليها بالنسبة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم كدم قلبه الذي إذا لم يكن هناك دم لا مجال لعمل القلب أبداً.

فوظيفة القلب الأساسية مبنية على وجود دم، فضلاً عن أنّها عليها السلام الخالص من قلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما عبّر عنه اللغويين في معنى المهجة.

فهي الخالصة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهي التي قال في حقها صلى الله عليه وآله وسلم: «إِنَّ فَاطِمَةَ بَضْعَةٌ مِنِّي، وَهِيَ رُوحِيَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيَ، يَسُوؤُنِي مَا سَاءَهَا، وَيَسُرُّنِي مَا سَرَّهَا».(اعتقادات الإمامية للصدوق:١٠٥)

وقد جاء في معنى القلب والفؤاد أنّ الفؤاد اسماً للقلب، يرادفه أو يختلف عنه قليلاً أو يتقاطعان، فالقلب يعني: الفؤاد.(لسان العرب:١/٦٨٥)

معنى آخر للقلب

لقد عبّر عن القلب بـ(العقل) كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾.(ق:٣٧)

أَي عَقْلٌ، وقيل معناه: تَفَهُّمٌ وتَدَبُّرٌ.فقد جاء عن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام في حديث طويل لهشام بن الحكم: «... يَا هِشَامُ إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ فِي كِتَابِهِ ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾ يَعْنِي عَقْلٌ».(الكافي:١/١٦)

فإنّ فاطمة عليها السلام هي خالصة من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، ومن أجلها يسير العالم والعمل فيه، وهي أصل الرسالة المحمدية وهي التي جمعت بين النبوة والإمامة.

فإنّها عليها السلام الخالصة والوحيدة التي خرجت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد يسير الفلك وتجري البحار، وتضيء الشمس، وينير القمر، وكل شيء في هذا العالم من أجلها ومن أجل أبيها وبعلها وبنيها، كما ورد في الحديث القدسي عن الله تبارك

وتعالى يخاطب به الملائكة في حديث الكساء المشهور بقوله: «...يـا مَلائِكتـي وَيا سُـكّانَ سَـماواتي إنّي ما خَلَقتُ سَـماءً مَبنّيـةً، وَلا أرضـاً مَدحيّـةً، وَلا قَمَـراً مُنيـراً، وَلا شَمسـاً مُضيئَةً، وَلا فَلَكاً يَدُورُ، وَلا بَحراً يَجري، وَلا فُلكاً يَسري، إلاّ في مَحَبّةِ هؤُلاءِ الخَمسَـةِ الّذينَ هُم تَحتَ الكِسـاءِ، فَقالَ الأَمينُ جبرائيلُ عليه السـلام: يا رَبِّ وَمَنْ تَحتَ الكِسـاءِ؟ فَقالَ عَزَّ وَجَـلَّ: هُـم أهلُ بَيـتِ النُّبُـوَّةِ وَمَعدِنُ الرِّسـالَةِ، هُـم فاطِمَةُ وَأَبُوهـا، وَبَعلُها وَبَنُوها...».

إنّ فاطمـة عليهـا السـلام هـي حلقـة الوصل بـين النبوة والإمامة، هـي التي جمعت بين نور النبوة وبـين نور الإمامة، وقد جاء في فضلها صلوات اللّه وسـلامه عليها وحجّيتها عن لسان أئمة أهل البيت عليهم السلام بقول الإمام الباقر عليه السـلام: «نحن حجة اللّه على خلقـه وأمّنا فاطمة حجة اللّه علينا». (تفسـير أطيب البيان:١٣/٢٢٥)

ومـن معاني الفؤاد هو القلب، كذلك نصّ الرسـول الأكرم صلى اللّه عليه وآله وسلم في حديثه الشريف على أنّ الحسن والحسين عليهما السلام هما نتيجة قلبه، وفائدة فؤاده.

فلقلـب الرسـول صلـى اللّه عليـه وآلـه وسـلم أساس وخالصـة، وكذلـك نتيجـة وفائـدة، فالحسـنان هما الخيرات الناتجة من النبـي الأكـرم صلى اللّه عليـه وآلـه وسـلم من قلبه المبـارك الذي ينبـض بابنته الزهـراء عليهـا السـلام.

فـأراد الرسـول الأكـرم صلى اللّه عليـه وآله وسـلم بيان منزلة وقرب فاطمة عليها السـلام وابنيها من نفسه ملازمة الـدم وفائدته من القلب.

وقيـل: ويقـال: خصَّني فلان بثمـرة قلبه: بمودّتـه. فأراد الرسـول صلـى اللّه عليه وآله وسـلم المودة لأهـل هذا البيت عليهـم السـلام، أراد مراعـاة قربهـم منه صلـى اللّه عليه وآله وسـلم، وقد حثّ في مواطـن كثيرة على حبّهم وموالاتهم والتبري مـن أعدائهم.

فـلبّ قلب النبي صلـى اللّه عليه وآله وسـلم هي الصديقة البتـول فاطمـة الزهراء عليها السـلام؛ والنتيجـة والفائدة والخير من هذا القلب هما الحسـن والحسـين سـيدا شباب أهل الجنة عليهم السـلام.

لكن للقلب احتياجاته لتكميل المسيرة الموكّلة إليه.

فالبصـر كمـا جـاء في اللغـة العربيـة هـو العـين، وقـوة الإدراك، الوسـيلة التـي يسـتطيع بهـا القلـب رؤية الأشـياء وتمييزها بين بعضها وتشـخيصها، هو العـين والبصر، فقد وصف رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم أمير المؤمنين علياً عليه السـلام في حديثه الشريف بالنور، فقال صلى اللّه عليه وآله وسـلم: «...نُـورُ بَصَرِي...». والنور هو ما يُبَيِّن الأَشْـياءَ ويُـرِي الأَبْصَارَ حقيقتها.

فالتمييـز بين المؤمـن باللّه تبـارك وتعالى ورسـوله صلى اللّه عليه وآله وسلم وبين الكافر والمشرك بهما، هو نور بصر النبـي صلى اللّه عليه وآله وسـلم ألا وهو أمـير المؤمنين علي عليه السلام.

فعَنْ زرِّ بْنِ حُبَيْـشٍ قَالَ: سَـمِعْتُ عَلِيّاً عليه السـلام يَقُولُ: «وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَـمَةَ إِنَّهُ لَعَهِدَ إِلَيَّ النَّبِيُّ صلى اللّه عليه وآله وسلم أَنَّهُ لا يُحِبُّكَ إِلاَّ مُؤْمِنٌ وَلاَ يُبْغِضُكَ إِلاَّ مُنَافِقٌ». (الغارات:٢/٣٥٦)

وكذلك بـيّن صلى اللّه عليه وآله وسـلم في حديثه المبارك أنّ الأئمـة المعصومـون عليهم السـلام أولاد علـي وفاطمة عليهما السـلام، هـم أمناء اللّه تبـارك وتعالى.

وأمنـاء جمـع أمـين؛ فهـم عليهـم السـلام الموثوقـون والمخلصـون وهم الذيـن يحفظون العهـود والمواثيق الإلهية، فضـلاً عـن أنّ لديهم علـم ما كان ومـا يكون.

فقـد خصّهـم اللّه تبـارك وتعـالى بهـذه المنزلـة والخصوصيـة، وجعـل مقاليـد كل شـيء بيدهـم.

وجـاء في نهايـة حديـث النبي صلـى اللّه عليه وآله وسـلم بيـان الاعتصـام والتمسـك بهـؤلاء الأطهار، يعنـي فاطمة وبعلهـا، وأولادهما البررة الكرام المعصومين العشـرة الأئمة المهديين. فجعل النجاة بالتمسـك والاعتصام بهم، والهلاك في التخلـف عنهم وعدم محبّتهم، فضـلاً عن عداوتهم، فإنّ مـن عاداهم إلى النار وبئـس المصير.

شعبة الدراسات والبحوث



رقبة من ماس وقلادة من خشب!!!

مفهوم التمهيد بين صغير يكبر وكبير يصغر

تلعب المشاعر مع الإنسان دائماً لعبة الغميضة فنرى الإنسان تارة يهرب من المشاعر وتارة تهرب المشاعر منه!!! ولكن الغريب أن المشاعر لا تمتلك إلا القلب مكاناً للهروب والاختباء لذا دائماً ما يجدها الإنسان بسهولة ويسر!!! على عكس الإنسان الذي يمتلك أكثر من مكان للهروب والاختباء ولعل الموت هو أحد أماكن اختبائه.

وحتى لا يطول الكلام حول هذه اللعبة فإنّ الكلام سوف ينتقل إلى لعبة أخرى أكثر إثارة تتمحور أحداثها حول أستاذ له تلميذ واحد فقط وذلك الوحيد هو الأستاذ نفسه!!! فكان يجلس ويدرس ويعلم نفسه طوال الوقت!!!

وفي أحد الأيام أحاط نفسه بأطنان من الأوراق التي رسم وكتب عليها شكل النار واسمها وبقي جالساً بينها وهو ينتظر لعله يحترق بالنار ولكن دون جدوى فإنّ النار المرسومة على هذه الأطنان من الأوراق لم تحرق هذا الأستاذ!!!!

فانتقل إلى الخطوة الأخرى وهو أن يتخيل شكل النار في ذهنه وبالفعل تخيل شكل النار المستعرة في ذهنه ولكن دون جدوى فإنّه لم يشعر بالحرارة لا بالرسوم الموجودة على أطنان الورق المحيط به ولم يشعر بالحرارة أيضاً حين تخيل صورة النار وشكلها في ذهنه!!!

ولكنه شعر بالنار بالفعل حين قام بإشعال عود ثقاب صغير واحد!!!!

عندها علم من نفسه لنفسه بعد تأمل وتفكر بأن العقيدة لا يمكن أن تكون مؤثرة في المجتمع إلا إذا خرجت من حدود عالم الكتب ومن أسوار نوافذ الذهن وتجسدت على أرض الواقع.

وهذه هي قصة عقيدتنا بشكل عام ولاسيما في التمهيد لظهور الإمام القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف الذي يقف البعض بالضد من استخدام مصطلح التمهيد بسبب الجهل بمفهومه!

فالتمهيد لظهور الإمام هو عملية إخراج لعقائدنا وأفكارنا من حدود العقل والكتب إلى العالم الواقعي الذي نعيشه وإذا خرجت هذه العقيدة من حدود العقل والكتب إلى أرض الواقع عندها فقط سوف تكون عقيدة لها تأثيرها في الإنسان وفي المجتمع في الواقع المعاش وعندما تحدث هذا التأثير عندها سيكون لهذا التأثير عنوان مهم وهو التمهيد! وهو بهذا لا يخالف ولا يعارض الفطرة والنظام الذي جعله الخالق لهذا الوجود!

فأنت حين تعتقد بأن الله هو الرازق وتدعو لكي يرزقك فأنت يجب أن تعمل لكي يقوم الله برزقك!

وحين تمرض وتدعوا الله لكي يشفيك فأنت يجب أن تتناول الدواء من أجل ذلك!

وهذا هو بالضبط ما أشار إليه المعصوم حين قال لنا «الدعاء من دون عمل كالقوس بلا وتر»!

فحين يأمرنا المعصوم بالإكثار من دعاء الفرج فإنّه في نفس الوقت يأمرنا بأن نكثر من العمل الذي يوافق دعاءنا بتعجيل الفرج!

كما فعلنا بالضبط حين ندعو بالشفاء والرزق!

وهذا هو باختصار مفهوم إحياء أمر آل الله محمد وآل محمد الأطيبين الأطهرين!

وهذا هو القصد من إخراج العقيدة من حيز الكتب والعقل إلى حيز التأثير في المجتمع والنفس!!!!

لذا يجب علينا أن ننتبه إلى أنفسنا ونعرف ما هو التمهيد قبل أن نعترض عليه.

بقلم: حيدر الوائلي

ممتلكات رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وآلـه وأموالـه

لقد أثـارت (أزمـة فدك) جدلاً كبيراً، وإلى اليوم، في الأمـة الإسلامية التي فجئت وفجعت برحيل رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الملأ الأعلى، وكان عليها أن تعيش تجربة جديدة، ألا وهي تجربة انقطاع الوحي.

وعليه حصلت خلافات كبيرة جرّاء ذلك، كان سببها الرئيسي الابتعاد عن ركني الهداية: (القـرآن الكريم والعترة النبوية الطاهرة)، والتنافس فيما فرغ رسول الله صلى الله عليه وآله من تبليغه لإتمام النعمة وإكمال الدين.

وقد أشار الشهرستاني في الملل والنحل إلى هذا الخلاف حيث قال: (والخلاف الخامس في الإمامة، وأعظم خلاف بين الأمـة خلاف الإمـامـة، إذ ما سُلّ سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سُلّ على الإمامة في كل زمان، ونتج من هذا الخلاف، الخلاف السادس وهو الخلاف في أمر فدك والتوارث عن النبي صلى الله عليه وآله). (الملل والنحل:١/٢٤)

ممّا أدّى إلى مقاطعة فاطمة الزهراء عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وبضعته للسلطة الحاكمة الجائرة آنذاك، التي غصبت حق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد دُفنت الصديقة الطاهرة سلام الله عليها على أثر ذلك ليلاً وأوصت أن لا يصلي عليها كل من ظلمها في تلك الليلة التي هجم القوم على دارها، فلم ترتض مشاركتهم في تجهيزها وتشييعها.

علاقة نهج البلاغة بفدك

لما بايع الناس أمير المؤمنين علياً عليه السلام، بدأ الإمام بترتيب الأمور وتنظيمها، وكان أهم أمر عنده ترتيب عمل الولاة والأمـراء على البلاد ومتابعة شؤونهم، حيث نقرأ في نهج البلاغة موارد كثيرة من كتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى ولاته وعماله وفيها التوبيخ والعتاب، وفيها النصيحة وفيها العزل، مما يـدلّـل على اهتمامه عليه السلام بهذا الشأن.

ومـن تـلـك الـكـتـب والمراسلات، ما كتبه عليه السـلام إلى عـثـمـان بـن حنيف الأنـصـاري عامله على البصرة، يعاتبه فيه لحضوره مأدبة قـوم مـن مـلأ البـصـرة، وكـان الغني



في تلك المأدبة مدعو، والفقير مجفوّ، وكان فيها نوع من الإسراف ويذكر عليه السلام في الكتاب أنَّ الإمام والحاكم هو القدوة للناس، فعليه أن يسلك في حياته سلوك الزاهدين.

فيشير أمير المؤمنين علي عليه السلام إلى زهده في الدنيا، ثم يعرّج على فدك ويقول: «بَلَى كَانَتْ فِي أَيْدِينَا فَدَكٌ مِنْ كُلِّ مَا أَظَلَّتْهُ السَّمَاءُ فَشَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ وَسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ آخَرِينَ وَنِعْمَ الْحَكَمُ اللهُ وَمَا أَصْنَعُ بِفَدَكٍ وَغَيْرِ فَدَكٍ وَالنَّفْسُ مَظَانُّهَا فِي غَدٍ جَدَثٌ تَنْقَطِعُ فِي ظُلْمَتِهِ آثَارُهَا وَتَغِيبُ أَخْبَارُهَا وَحُفْرَةٌ لَوْ زِيدَ فِي فُسْحَتِهَا وَأَوْسَعَتْ يَدَا حَافِرِهَا لَأَضْغَطَهَا الْحَجَرُ وَالْمَدَرُ وَسَدَّ فُرَجَهَا التُّرَابُ الْمُتَرَاكِمُ».(نهج البلاغة:٤١٧)

فقوله عليه السلام «بَلَى كَانَتْ فِي أَيْدِينَا فَدَكٌ مِنْ كُلِّ مَا أَظَلَّتْهُ السَّمَاءُ» فيه مجموعة نقاط وهي كالتالي:

أموال رسول الله صلى الله عليه وآله وممتلكاته

هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله من مكة إلى المدينة ولا شيء معه من أموال الدنيا سوى زاده وراحلته، وكان أهل المدينة تنازلوا عن بعض أراضيهم لصالح النبي صلى الله عليه وآله يتعيش بها، ففي كتب الفريقين جاء: (إنّ الرجل كان يجعل للنبي صلى الله عليه وآله النخلات من أرضه حتى فتحت عليه قريظة والنظير، فجعل بعد ذلك يرد عليه ما كان أعطاه).(صحيح مسلم:٥/١٦٣)

وجاء أيضاً في مورد آخر: (إنّ أمّ أنس بن مالك كانت أعطت للنبي صلى الله عليه وآله غداقاً من أموالها، وأعطاه النبي صلى الله عليه وآله لأم أيمن، وبعد فتح خيبر ردّ النبي الغداق على أمّ أنس وعوّض أم أيمن مكانهنّ من حائطه أو من خالصه).(صحيح البخاري:٣/١٤٤)

وهذه الأموال التي حازها رسول الله صلى الله عليه وآله وصلت إليه بطرق مختلفة، إما بالوصية إليه أو بحكم الفيء والأنفال، أو بعنوان خمس الغنائم.

وكان صلوات الله عليه لزهده في الدنيا يأخذ منها قوت عياله، ويصرف الباقي في مصالح المسلمين وسدّ خلاّتهم وإكرام الضيوف وفي السلاح والكراع حسبة لله وتقرباً إليه، وزهادة في أموال الدنيا.

قال ابن أبي الحديد: (مات رسول الله صلى الله عليه وآله وله ضياع كثيرة جليلة جداً بخيبر وفدك وبني النظير، وكان له وادي نخلة، وضياع أخرى كثيرة بالطائف).(شرح نهج البلاغة:١٥/١٤٧)

ويمكن تلخيص تلك الأموال والضياع كما يلي:

هبة مخيريق

كان مخيريق من أغنياء اليهود ومن أحبارهم وعلمائهم، قال عنه ابن هشام: (قال ابن إسحاق: كان حبراً عالماً، وكان رجلاً غنياً كثير الأموال من النخل، وكان يعرف رسول الله صلى الله عليه وآله بصفته وما يجد في علمه، وغلب عليه إلف دينه، فلم يزل على ذلك حتى إذا كان يوم أحد، وكان يوم السبت، قال: يا معشر يهود والله إنّكم لتعلمون أنَّ نصر محمد عليكم لحق، قالوا: إنّ اليوم يوم السبت، قال: لا سبت لكم؛ ثم أخذ سلاحه فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وآله بأحد، وعهد إلى من وراءه من قومه: إن قتلت هذا اليوم فأموالي لمحمد يصنع فيها ما أراه الله، فلمّا اقتتل الناس قاتل حتى قتل، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله فيما بلغني يقول: «مخيريق خير يهود»، وقبض رسول الله صلى الله عليه وآله أمواله).(السيرة النبوية:٢/٣٦٢)

وقال السمهودي: (وأسماء أموال مخيريق التي صارت للنبي صلى الله عليه وآله: الدلال، وبرقة، والأعواف، والصافية، والمثيب، وحسنى، ومشربة أم إبراهيم).(وفاء الوفا:٣/١٥٠)

فهذه الأموال بقيت بيد النبي صلى الله عليه وآله يتصرّف فيها كيف ما يشاء إلى أن أوقفها في السنة السابعة الهجرية على فاطمة عليها السلام وأولادها، وهو كان أول وقف في الإسلام، ومنه تعلّم المسلمون كيفية الوقف، فعن محمد بن كعب، قال: (كان الحبس على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله حبس سبعة حوائط بالمدينة: الأعواف، والصافية، والدلال، والمثيب، وبرقة، وحسنى، ومشربة أم إبراهيم. قال ابن كعب: وقد حبس المسلمون بعده على أولادهم وأولاد أولادهم).(الطبقات

لابن سعد:١/٥٠٣)

ومما يدلّ على وقفيتها وقفاً خاصاً لفاطمة عليها السلام ما رواه الكليني عن أحمد بن محمد، عن أبي الحسن الثاني عليه السلام قال: سألته عن الحيطان السبعة التي كانت ميراث رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام، فقال: (إنّما كانت وقفاً، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يأخذ إليه منها ما ينفق على أضيافه والتابعة يلزمه فيها، فلما قبض جاء العباس يخاصم فاطمة عليها السلام فيها، فشهد علي عليه السلام وغيره أنّها وقف على فاطمة عليها السلام، وهي: الدلال والعواف، والحسنى، والصافية، وما لأم إبراهيم، والميثب، والبرقة). (الكافي:٧/٤٧، ح١)

وكذلك ما ورد في وصيتها عليها السلام ممّا رواه أبو بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: «ألا أحدّثك بوصية فاطمة عليها السلام؟»، قلت: بلى، فأخرج حقاً أو سفطاً، فأخرج منه كتاباً فقرأه: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصت به فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله، أوصت بحوائطها السبعة: العواف، والدلال، والبرقة، والميثب، والحسنى، والصافية، ومال أم إبراهيم إلى علي بن أبي طالب، فإن مضى علي فإلى الحسن، فإن مضى الحسن فإلى الحسين، فإن مضى الحسين فإلى الأكبر من ولدي، شهد الله على ذلك، والمقداد بن الأسود الكندي، والزبير ابن العوام، وكتب علي بن أبي طالب». (الكافي:٧/٤٨، ح٥)

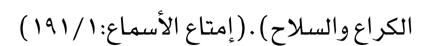
وروي أنَّ هذه الحوائط كانت وقفاً، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يأخذ منها ما ينفق على أضيافه ومن يمرّ به، فلما قبض جاء العباس يخاصم فاطمة عليها السلام فيها، فشهد علي عليه السلام وغيره أنّها وقف عليها. (من لا يحضره الفقيه:٤/٢٤٤، ح٥٥٧٩)

وربما يؤيّد ما تقدّم من رواية ابن سعد أنَّ المسلمين بعد هذا حبّسوا على أولادهم وأولاد أولادهم، حيث يشير هذا النص إلى أنّ وقف الرسول صلى الله عليه وآله لم يكن وقفاً عاماً، بل وقف خاص على ابنته، ولذا اقتدى المسلمون به وبدؤوا بالوقف على أولادهم.

أرض بني النضير

وهي ممّا أفاءها الله تعالى على رسوله بعدما أجلاهم من المدينة بسبب خيانتهم وعدم الوفاء بالعهد، فصارت له خاصة، ففي إمتاع الأسماع للمقريزي: (قال عمر: ألا تخمّس ما أصبت؟ فقال صلى الله عليه وآله: «لا أجعل شيئاً جعله الله لي دون المؤمنين بقوله: ﴿مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾»[الحشر:٧]

وكانت بنو النضير من صفايا رسول الله صلى الله عليه وآله جعلها حبساً لنوائبه، وكان ينفق على أهله منها، كانت خالصة له، فأعطى من أعطى منها وحبس ما حبس، وكان يزرع تحت النخل وكان يدخر منها قوت أهله سنة من الشعير والتمر لأزواجه وبني المطلب، وما فضل جعله في الكراع والسلاح). (إمتاع الأسماع:١/١٩١)



وجاء في صحيح البخاري عن عمر قال: (كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وآله مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، فكانت لرسول الله صلى الله عليه وآله خاصة، وكان ينفق على أهله نفقة سنته، ثم يجعل ما بقي في السلاح والكراع عدة في سبيل الله). (صحيح البخاري:٣/٢٢٧)

فهذه جملة من أموال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسنتطرق في العدد القادم إن شاء الله بالتفصيل حول أرض فدك وموقعها.

شعبة الدراسات والبحوث /
عن مصادره بتصرف

الـــــزواج الإســـلامـــي

الزواج هو سنة كونية، قد ذكرها الله جلّ جلاله مرات عديدة في القرآن الكريم، فهو فطرة عموم الأحياء، وما يتميز به الزواج الإسلامي الصحيح هو أن يؤسّس الزوجات الكريمات أسرة سعيدة، تكون نواة وبذرة صالحة، لمجتمع ينشد الاستقرار والطمأنينة.

فالزواج الإسلامي انعكاس طيب، وثمرة من ثمار الدين المحمدي القويم، الذي من ضرورياته العقائدية الحجاب الإسلامي.

حتى لا تكون المرأة أو الزوجة عرضة لأنظار أي رجل أجنبي، وما يجر ذلك من ويلات على العائلة والمجتمع بأسره، وفي مقابل الحجاب والتزام المرأة الديني هناك الرجل الذي يقدّس الحياة الزوجية والأسرية، ويخلص لبيته وأولاده وزوجته، ولا يحاول الانجرار وراء تفاهات وملذات مستوردة، مع تيارات الغرب الذي يحاول جاهداً جر مجتمعاتنا الإسلامية لكثير من المستنقعات الوحلة بالرذيلة، والتفكك الأخلاقي، ولا يخفى ما لذلك من دور خطير، وأداة من أدوات الصهيونية، ومسعاها الرامي لجعل أمتنا الإسلامية لعبة، وحقل تجارب، لمفاسدهم وابتذالاتهم الرخيصة التي لا تمت إلى أصالتنا وحضارتنا العريقة بأية صلة.

فشعور الزوجة بأن زوجها من المخلصين والملتزمين بالعدل والمنطق والأخلاق الحميدة، والخوف من الله تبارك وتعالى، يجعلها مطمئنة بأن زوجها لا ينظر إلى غيرها بنظرة مريبة، لا ترضي الباري عزّ وجل، ولكن لا يحق لها أن تمنعه إن أراد الزواج بثانية وثالثة ورابعة، كما شرّع الله سبحانه في كتابه المجيد، مع علمها بمقدرته المادية وكفاءته الاجتماعية في إدارة أمور زوجاته، إن علمت عدم استطاعته حق لها نصيحته بالموعظة الحسنة، وعلى هذا الغرار كل الأمور يمكن تلافيها بالحوار وترك الأنا والتسلط.

فالحياة الزوجية تربط قلب الزوجين بأسمى علاقة حب ومودة، ينتج عنها تدبير أمور الحياة معاً، وهي الأمور الأسرية المشتركة، حيث إنَّ الهدف الجميل من الزواج، هو إنشاء ذرية صالحة طيبة يتمتع بها أولاد هذه الأسرة بحسن التربية والسلوك المتزن.

ومن هنا فإن الزواج الإسلامي ميزته الأولى هي إكمال نصف الدين، وثانياً تحقيق السعادة والطمأنينة بين أفراد المجتمع المسلم: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾. [الروم:٢١]

فالاقتران الإسلامي سنة حسنة تجعل السعادة في النفس وتبعد الكثير من المشاكل، ولذا فإن الزواج أمل كبير ومشروع ناجح جداً من جميع الجهات، فعلى كل إنسان أنْ يسهم ولو بالكلمة الطيبة في مساعدة الشباب على الزواج والله ولي التوفيق.

ظافر محمد



كيف نزرع القدوة الحسنة في حياة الطفل؟!

تعتبر القدوة في حياة الإنسان مصدراً أساسياً من مصادر التربية الّتي من خلالها تتكوّن ملامح شخصيّته، وهي الهدف الّذي يسعى إليه ليجد فيه كمالاته الّتي ينشدها.

ولكن إذا تأمّلنا من حولنا في الواقع الّذي يعيشه أطفالنا، نراهم متأثّرين جداً بشخصيات متعددة، إمّا كرتونية أو خرافية، وحتى واقعيّة، ولكنها تحمل أفكاراً غربيّة بعيدة من ثقافتنا العربية وحتى الإسلاميّة.

هذه الشخصيات في تواصل دائم مع أولادنا من خلال الشاشة الصغيرة (التلفاز)، حيث يمضون في مشاهدتها ساعات طويلة دون ملل أو كلل.

ولكن الأهمّ أنّه إلى أيّ مدى تؤثّر هذه الشخصيات في أطفالنا، وخصوصاً مع محاولة عدد من الأطفال تقليد (سبيادر مان) أو (سوبر مان) وغيرهما من الشّخصيّات؟ وما هي المخاطر التربوية التي يرصدها المتخصِّصون في هذا المجال؟

ولعلّ السّؤال الأهمّ: كيف نزرع القدوة الحسنة في نفوس أبنائنا؟

لماذا يتماهى الطّفل مع الشخصيات الكرتونيّة والفنيّة؟

إنّ الشخصيّات التي تعرض على شاشات التّلفزة وغيرها من الوسائل أو الوسائط، تلعب الدَّور المؤثّر في تشكيل القدوة أو النّموذج لدى الأطفال، نظراً إلى قدرتها البالغة للتّأثير فيهم، وذلك فيما يتعلّق بالتقنيّات الفنيّة العالية والجاذبة الّتي تستخدم أثناء تقديمها للأطفال، وبمختلف مراحلهم العمريّة، مشيرةً إلى حالة التّماهي الّتي تحصل لدى الطفل، من خلال اندماجه النفسي مع شخصيّة البطل داخل القصّة التي يشاهدها، سواء كانت عبر شاشة التّلفاز، أو من خلال الألعاب الإلكترونيّة التي تتطلّب من الطّفل المحرّك لهذه اللّعبة أن يقوم بدور البطل، الّذي غالباً ما يمارس أعمالاً عدوانيّة، أو أعمالاً بعيدة كلّ البعد عن تمثّل القيم الإنسانيّة العليا.

أمّا الشخصيّات الفنيّة التي تطال فئة الناشئة، فإنها لا تقلّ خطورة عن الشّخصيّات الكرتونيّة أو الإلكترونيّة، من حيث البعد عن القيم والمفاهيم الإنسانيّة العليا.

هذا إضافةً إلى أنّه تجتمع في الشخصيات الفنيّة العديد من الصّفات، سواء التي تعلّقت بأسلوب اللّباس، أو بطريقة الكلام أو العادات أو الأفكار وغيرها، ما يجعل من هذه الشخصيّة نموذجاً تجتمع فيه كافّة المواصفات الرّديئة الكفيلة بتشويه شخصيّات الأطفال والنّاشئة، والابتعاد عن القدوة الحسنة.

مفهوم القدوة

إنَّ القدوة تتمثّل غالباً في شخصيّة مرموقة ومعتبرة، تجتمع فيها الفضائل والصِّفات الحميدة الّتي تعين الفرد على نفسه من النّاحية التطبيقيّة، وكذلك إبراز السّلوك الحسن في شخصيّته بشكل عامّ، أمّا فيما يتعلّق بالأطفال، فإنّ (القدوة الأساسية والأولى في حياتهم، تبرز من خلال وجود الوالدين اللّذين يشكّلان النموذج الأوّل في حياتهم، والذي من خلاله يتعلمون تبنّي القيم والمثل العليا، بناءً على ما يتبنّاه الوالدان نفسهما، هذا فضلاً عن التّطبيقات والسلوكيّات التي يراقبها الأطفال عن كثب، والتي تصدر عن الوالدين، وبالتّالي، فإنّ أيّ خلل يصدر عنهما، سواء في تبني القيم الدّينية والأخلاقيّة والاجتماعيّة وغيرها من القيم، أو في التعبير السلوكي من خلال التصرفات والأفعال الصّادرة عنهما، فإنّ ذلك سيمثّل للأطفال النموذج الذي يحتذى لديهم).

القدوة بالأفعال أم بالأقوال

إنّه لا يمكن الفصل ما بين القول والفعل حين نتكلّم عن الإنسان القدوة، اللّذين يعتبران الأساليب الأساسيّة الّتي يعتمدها الإنسان في حياته للتّعبير عن موقف أو حاجة أو غيرها.

لذلك فإنّ الذي يصدر عن الإنسان من الأقوال والأفعال، ما هو إلاّ انعكاس لقناعته وأفكاره المدعومة من المعتقدات والقيم الّتي يتبنّاها كمبادئ وأسس تحكم تلك الأفعال والأقوال الّتي تعبّر بظاهرها عن ماهيّة شخصيّة الإنسان.

القدوة الحسنة مسؤوليّة الأهل

إنّ هناك نصائح وإرشادات تساعد الأبوين في زرع القدوة الحسنة في نفوس أبنائهم، فعلى الأهل أن يحرصوا على أن يرى فيهم الأولاد صدق المواقف والتربية، فقد نرى كثيراً أنّ الأهل يمنعون أولادهم من رؤية فيلم على التّلفاز لأنّه غير أخلاقيّ، كالأفلام المكسيكيّة، ولكن عندما يرى الأولاد أنَّ آباءهم يشاهدون هذه الأفلام مثلاً، فسوف يكون كلامهم كالهباء المنثور، ليس له أيّ وقع في نفوسهم، وبالتالي عندما تغيب عين الأهل عنهم، سوف يتابعون هذه الأفلام، مبرّرين ذلك بأنّها لو كان هناك إشكالية في مشاهدة هذه الأفلام لما فعلها أهلهم.

إذن على الأهل أن يراعوا هذه النّقطة أشدّ المراعاة، لأنَّ شاشات التلفزة أصبحت رفيق كلِّ بيت يدخل بيوتنا من غير استئذان، فكما تحرص أيّها الأب على أن تختار لابنك أصدقاءه خوفاً من الفلتان، فاختر لولدك الشّاشة الملتزمة، وكن صادقاً في فعلك وقولك.

بثّ روح الإيمان في الأولاد مبكراً

هناك ضرورة على أن يناقش الآباء أبناءهم في مواضيع معيّنة، وأن يحاولوا أخذ رأيهم فيها، فإنّ هذا الأمر سوف يعزِّز شخصيّة الولد ويقوِّيها، ويشعر من خلال هذه المناقشة بأنّه أصبح راشداً.

أضف إلى ذلك نقطة مهمّة، وهي أنّ النقاش يفتح آفاقاً فكرية كبيرة للولد، وإذا كان النّقاش والحوار على أصوله، فإنَّ ما يتوصَّل إليه سوف يلتزم به الولد، لأنَّ هذا هو رأيه واعتقاده.

ومن الضّروريّ أن يطرح الآباء على أولادهم بعض المواضيع الّتي هي مثار جدل، والّتي يخشون عليهم أن يتأثّروا بها، ومناقشتها معهم، وأن يبيّنوا لهم الأخطاء بأساليب النقاش لا بأساليب الإملاء، لأنَّ أسلوب الإملاء كثيراً ما ينفر الأبناء منه، بينما لو كان نقاشاً فإنّ الأمر سيختلف اختلافاً جذريّاً.

فروي عن الإمام الصّادق عليه السلام أنّه قال: «بَادِرُوا أَحْدَاثَكُمْ بِالْحَدِيثِ قَبْلَ أَنْ تَسْبِقَكُمْ إِلَيْهِمُ الْمُرْجِئَةُ». (تهذيب الأحكام:٨/١١١)

والنكتة الثانية هي أنّه على الأهل الحرص على بثّ روح الإيمان في أولادهم باكراً، وأن يجتنبوا تعريف أبنائهم على دينهم في سنّ البلوغ، لأنَّ في ذلك أخطاراً قد لا يحمد عقباها، فالولد إذا بلغ أصبح مكلَّفاً أمام الله،

ومسؤولاً عن أعماله وأفعاله وسائر تروكه، وبالتالي فإذا لم يحسن أداء عباداته جيّداً، فسوف يكون مسؤولاً عنه، ولكن في الدّرجة الأولى، يكون الأب مسؤولاً قبل الأمّ وقبل الولد عن ذلك، ناهيك بأن يترك الولد إلى ما بعد بلوغه، ويكون قد تعوّد على النّمط المتحرّر من العبودية لله تعالى، فعندما تطالبه بالالتزام، فإنّك تشعره بأنّك سوف تقيّده وتسجنه وتلزمه بأمورٍ يشعر بأنّها قهر عليه، لذلك يستحسن جدّاً، ومن النّاحية التّربويّة، أن يبكر الآباء في اتخاذ هذا القرار.

وقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام قوله:«إِنَّا نَأْمُرُ صِبْيَانَنَا بِالصَّلَاةِ إِذَا كَانُوا بَنِي خَمْسِ سِنِينَ فَمُرُوا صِبْيَانَكُمْ بِالصَّلَاةِ إِذَا كَانُوا بَنِي سَبْعِ سِنِينَ وَنَحْنُ نَأْمُرُ صِبْيَانَنَا بِالصَّوْمِ إِذَا كَانُوا بَنِي سَبْعِ سِنِينَ بِمَا أَطَاقُوا مِنْ صِيَامِ الْيَوْمِ». (الكافي:٣/٤٠٩)

أهميّة السّلوك في بناء القدوة

هناك تأكيد على أهمّية إدراك الوالدين أنّهما من خلال الأفكار والمعتقدات والقيم الّتي يتبنّيانها في الحياة، سينعكس ذلك على أبنائهم، وذلك من خلال المحاكاة والمراقبة، وتقدّم لهما النّصائح التّالية:

– إنّ السّلوك الذي يعتمده الوالدان في حياتهما اليوميّة، ولاسيّما مع الأبناء أنفسهم، فضلاً عن تصرّفاتهما وسلوكهما مع بقيّة أفراد المجتمع، من أهل وأصدقاء وغيرهم، هو عبارة عن معايشة يوميّة لهما، تقدّم للأبناء الطريقة والأسلوب الأمثل – باعتقاد الأبناء – والكافي لتقليده، لذا علينا كأهل أن ننتبه لسلوكيّاتنا في أقوالنا وأفعالنا.

– من المهمّ جدّاً أن يلتفت الوالدان لاختيار المدرسة المناسبة الّتي تتبنّى القيم الأخلاقيّة العالية، وتترجمها من خلال مناهجها التعليميّة، والتي تتمّ فيها مراقبة كافة سلوكيّات الطلاب، والعمل على تقويم ما اعوجّ منها.

– من مسؤولية الوالدين المساهمة الفعّالة في اختيار الأصدقاء لأبنائهم، وكذلك إيجاد البيئة المناسبة لاختيار هؤلاء الأصدقاء الجيّدين.

– من المهمّ أيضاً أن يكون لدى الوالدين الوعي الكافي لاختيار القصص المناسبة لأطفالهم من حيث الشّكل والمضمون، كذلك المساهمة الفعالة في اختيار الألعاب والبرامج الإلكترونية وغيرها من الألعاب، مما يتناسب مع ترسيخ القيم الإنسانية والأخلاقية المطلوبة.

فإنّ من يريد لأبنائه أن يكونوا أفضل البشر، عليه أن يكون في تربيته القدوة لهم.

أدب الإسلام هو الطريق للقدوة الحسنة

إنّ هناك نقطة مهمة وهي (أن يكون الآباء صورةً مصغّرةً عن حركة الإسلام في المجتمع، بمعنى أن يكون الآباء متأدّبين بأدب الإسلام ومنطبعين بطباعه، لأنّ من يريد أن يمارس دوره في عمليّة التربية، ويريد لأبنائه أن يكونوا أفضل البشر، عليه أن يقدّم نفسه أمام أبنائه كصورة ونموذج عن هذه التربية.

وقد ورد في القرآن الكريم ما يذمّ القائل بشيء ثمّ لا يفعله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.[الصف:٢-٣]

فقد ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام أنّه قال: «مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إِمَاماً فَلْيَبْدَأْ بِتَعْلِيمِ نَفْسِه قَبْلَ تَعْلِيمِ غَيْرِه وَلْيَكُنْ تَأْدِيبُهُ بِسِيرَتِه قَبْلَ تَأْدِيبِه بِلِسَانِه وَمُعَلِّمُ نَفْسِه وَمُؤَدِّبُهَا أَحَقُّ بِالإِجْلَالِ مِنْ مُعَلِّمِ النَّاسِ وَمُؤَدِّبِهِم».(نهج البلاغة:٤٨٠)

فإنّ أولادنا هم عيّنة مصغّرة عنّا، عن أخلاقنا وقيمنا، يتصرفون كما نتصرّف، ويتحدّثون كما نتحدّث، وينطقون بما نعلّمهم وبما ننطق، فلنسع لتقديم النموذج الحسن في سلوكيّاتنا وأقوالنا وأفعالنا، ولنراع الله في علاقتنا معهم، حتى نكون لهم الملجأ والأمان والقدوة الحسنة في هذه الحياة، حتى لا ينفروا منّا ويجدوا ضالّتهم عند مشاهير وشخصيّات فنيّة أو وهميّة، لا تجلب لهم الخير، وربما تقودهم إلى ما لا يحمد عقباه.

فاطمة خشّاب درويش

الرجال قوّامون على النساء

إنّ الرجاء قوّامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض، لأنّ بيد الرجال كل شيء من الإنفاق والأموال والعمل واتخاذ القرارات سواء كان الرجل بعنوان أب في البيت أو بعنوان زوج.

فهو القائم على المنزل وبيده تربية الأطفال، وهو الذي يأتي بالمأكل والمشرب والملبس إلى البيت؛ وعليه أن يبحث عن مأمن للعائلة، والزوجة والأطفال.

فقال الله تعالى: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾.[النساء:٣٤]

(قوامون) في المعنى اللغوي: رجل قيّم وقوّام على وزن فعّال، للمبالغة من القيام، أي القيام بالأمر وحفظه بالاجتهاد.

بمعنى أنّ هذا قيّم المرأة وقوّامها للذي يقوم بأمرها ويهتم بحفظها أي إنّهم يقومون بأمر المرأة والأسرة بالطاعة لله ولهم.

ومن أهم حقوق الزوج هو حق القيمومية، فالواجب على المرأة مراعاة هذا الحق لأنّ الحياة الأسرية لا تسير بلا قيمومية.

فالقيمومية للرجل منسجمة مع طبيعية الفوارق البدنية والعاطفية لكلا الزوجين.

وهناك أمران يعللان سبب القيمومية أو القوامة.

أحدهما قوله تعالى: ﴿ ...بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ... ﴾، أي أنّ حاصل فضل الرجل على المرأة يكون بعضها إما بصفات أو بأحكام شرعية؛ أو بالمسؤوليات التي جعلها الله تعالى على عاتق الرجل باتجاه المرأة والأسرة والمجتمع.

فالصفات الحقيقية ترجع على قدرة الرجل على الأعمال الشاقة، مثل الفروسية والحرب والرمي وتصديهم لمقام النبوة والإمامة والجهاد والأذان والخطبة لصلاة الجمعة والعيد وغير ذلك من الأحكام والأمور الشرعية التي خصَّ الله تعالى بها الرجل حصراً.

والمسألة الأخرى: القدرة على ترجيح جانب العقل على جانب العاطفة والمشاعر؛ على العكس من المرأة التي تتمتع بطاقة فياضة من الأحاسيس والعواطف والمشاعر التي يمنعها من التفكّر بالعقل، واتخاذ القرارات الحاسمة والجيدة في المواقف المختلفة تجاه الأحداث التي تجري

في حياتها. يعني التفاضل حسب التكليف التكويني الذي كوّنه الله تعالى من الناحية الفسيلوجية.

القيمومية لا تسقط الإرادة الفردية للمرأة

إنّ إسقاط القيمومية عن المرأة لا تعني بأن لا تنفذ للمرأة في ما تمتلكه من إرادة وتصرف مثل حق التعليم والتدريس والعمل خارج البيت طبق الضوابط.

فللمرأة حرية التعبير والتفكير والتصرف بما يناسب التشريع الإسلامي وما يوافق الأوامر الإلهية، ولها من الحقوق، فضلاً عن الواجبات التي خصّها الله تعالى للمرأة.

فالمرأة حينما تكون ابنة في بيت الأب إطاعة الأب والأم فيما ينهون وما يأمرون، طبقاً للشريعة الإسلامية، فقد قال الله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.[العنكبوت:٨]

إنّ الله تعالى يوصّي الإنسان بالإحسان لوالديه، فالإحسان أن يكرمهما ويحبّهما ويطيع لهما أوامرهما ويساعدهما في تلبية احتياجاتهما، وهذا على عاتق الذكور والإناث، فالله تعالى يوصّي كلاهما بالإحسان إلى الأبوين.

فإذا سعى الأبوان أو أحدهما في أن يجعل الإنسان أو الولد أو البنت ليشركا بالله تعالى على الفرد أن لا يطيعهما في هذا الأمر، أي أمر الشرك بالله تعالى.

وقد فسّر العلماء في هذه الآية المعنى من الشرك هو عدم إطاعة الله تعالى فيما أمره أو العمل بما نهى عنه الله تعالى في القرآن الكريم وعلى لسان نبيّه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الطيبين الطاهرين عليهم السلام.

فهنا على الإنسان أن لا يطيع الأبوين في الشرك بالله تعالى.

أمّا إذا تزوّجت المرأة وصارت في بيت الزوج، فصار لها بعل، فستختلف عليها إطاعة الأوامر والتنهي عما كان ينهي عنه أبواها.

فقد وصّى الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في حديثه المبارك على لسان ولده الإمام الصادق عليه السلام بقوله: «إِنَّ قَوْماً أَتَوْا رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وآله، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّه، إِنَّا رَأَيْنَا أُنَاساً يَسْجُدُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه و آله: لَوْ أَمَرْتُ أَحَداً أَنْ يَسْجُدَ لأَحَدٍ، لأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا». (الكافي:١١/١٦٤)

فهنا على المرأة أن تطيع زوجها في جميع الأمور، إلا ما كان ذلك شركاً بالله أو كان هناك ذنبٌ قد تقترفه المرأة في إطاعة زوجها.

فقد جعل الله تعالى القيمومية للرجل على أنّه يفكّر بعقله قبل أن يفكّر بعاطفته.

أمّا حرية المرأة في حق الشهادة في الدفاع عن نفسها في حقوقها الفردية والاجتماعية وحقوقها في القضاء، فهذا لا منافاة بينه وبين قيمومية الرجل عليها.

فلا تعني بأن المرأة لا تستقل في حفظ حقوقها الفردية والاجتماعية والدفاع عن نفسها.

وهذا إلاّ فيما يزاحم حق الزوج فإنّ على المرأة الطاعة في الحضور بما يناسب حق الله حيث (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) والحفظ في الغيبة.

فهناك حقوق بين الزوج وزوجها، قد ذكرها أهل البيت عليهم السلام في أحاديث كثيرة.

لماذا وردت القيمومية في القرآن الكريم؟

إنّ دين الإسلام دين التكامل وإيصال الإنسانية إلى تكامل حقيقي ولذا يبدأ من النواة الأولى التي هي الأسرة ليصل على مجتمع متكامل.

وكما جاء في قول الشاعر:

الأم مدرسة إذا أعددتها
أعددت شعباً طيب الأعراق

الأم روض إن تعهده الحيا
بالريّ أورق أيما إيراق

الأم أستاذ الأساتذة الأولى
شغلت مآثرهم مدى الآفاق

وقد صدق القائل في قوله هذا، فالأم ليست مدرسة فقط بل العالم بأجمعه، فهي وراء كل تقدم وراء كل بطولة، فالجنة تحت أقدام الأمهات وهذا يكفي لمعرفة قدر وشأن الأم، فالرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أوصى بها، حيث جاءه رجل يسأله فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: «أمك»، قال:ثم من؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: «أمك»، قال الرجل:ثم من؟ قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أمك»، قال الرجل: ثم من؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: «أبوك».

فقد كرّر صلى الله عليه وآله وسلم كلمة أمك ثلاث مرات للتأكيد على عظمتها ومنزلتها وحفظ حرمتها.

فالأسرة هي المتكوّنة من الأب أولاً ثم الأم ثانياً ثم الأبناء ثالثاً هي النواة الأولى للمجتمع المتكامل.

فإذا كانت الزوجة التي تصبح أمّاً بعد الإنجاب ذات كمال وإرادة قوية، فسيكون هناك جيل كامل، بأخلاق عالية بسبب تربية الأم.

فإذا أردنا توضيح قوله تعالى: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ... ﴾ ، نقول: إنّ العائلة وحدة اجتماعية صغيرة ولكن كالاجتماع الكبير لابد لها من قائد وقائم بأمورها.

ليس المقصود هو الاستبداد والإجحاف العدوان، بل القيمومية هو أن تكون القيادة واحدة منظمة تتحمل مسؤوليتها مع أخذ مبدأ الشورى والتشاور لا مبدأ الرئاسة والتعالي والاستصغار.

إنّ أيّ هيئة حتى المؤلفة من شخصين ومكلفة بأمر ما، لابد أن يتولى أحدهما زعامة تلك الهيئة والآخر بمثابة المعاون، وإلا سادت الفوضى في أعمال تلك الهيئة.

أما في حق القيمومية للرجل، فبما كلفه سبحانه وتعالى من الإنفاق على الزوجة والأولاد في قوله تعالى: ﴿ ...وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ... ﴾ هو التكاليف اللازمة من مهرها والنفقة والإدارة المالية اللائقة للعائلة.

وكذا بالنسبة إلى دفاع الرجل عن زوجته وأولاده والذب عنهم، نعم يمكن أن يكون هناك بعض النسوة ممن يتفوقن على أزواجهن في بعض الأمور كالدراسة والمال.

وهذا لا ينافي القيمومية في البيت من باب التشاور والمساعدة.

وإلا سادت العائلة الفوضى إذا فقدت القوامة والتنظيم العائلي وكل يسير حسب رأيه وتنتهي العائلة إلى الفشل والضياع.

ولتكن المرأة ذكية في تصرفها مهما كانت شخصية زوجها، لتعلّم أطفالها على الاحترام المتبادل في العائلة.

ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الْجَنَّةُ تَحْتَ أَقْدَامِ الْأُمَّهَاتِ».(مستدرك الوسائل:١٥/ ١٨٠)

بمعنى أنّ المرأة تستطيع أن تخلق جنّة في بيتها الصغير المتواضع وذلك بقناعتها، قال مولى الموحدين الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «الْقَنَاعَةُ كَنْزٌ لاَ يَفْنَى».(مشكاة الأنوار في غرر الأخبار:١٣٢)

وفي ختام الآية ذكر الله سبحانه وتعالى: ﴿ ...فَلاَ تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ .

وهذا خطاب مع الرجال بأن لا يسيؤوا استخدام مكانتهم كقيمين على العائلة فيجحفوا في حق أزواجهم بأنّ يشك فيها عما في قلبها وضميرها من الحب والبغض فإنه سبحانه في قدرته التي هي فوق كل شيء ومع علوّه وكبريائه اكتفى من العبد بالظواهر ولم يهتك السرائر.

ولذا ينبّه سبحانه وتعالى بأنْ تكتفوا بظاهر حال المرأة ولا يغرنكم العلو والقوامة والقوة والشدة في أنفسكم فتظلموهن بالاستعلاء والاستكبار عليهن.

وهذه هي قمة التوازن في الإسلام وجواب على من يخلق الشبهات عن الإسلام ويبيّنه دين القسوة والشدة.

إنّ القرآن جعل القوامة لتوازن العائلة، وجعل لها موازين وعيّن سبب القوامة، ثم أعطى آخر الآية العلو والكبر لله وحده سبحانه وتعالى، والقوامة فقط تحت موازين التنظيم للحياة العائلية والمجتمع.

بقلم: الدكتورة زهراء ساجت

ويعفو الله عن كثير

الحلقة الأولى

الآيات والأخبار في باب العفو كثيرة جداً، أمّا الآيات الواردة في القرآن الكريم في هذا المورد بلغت ستين آية وبعد التأمل في جميعها يظهر أنها كان على ثلاثة أقسام، بعضها عامة وبعضها مطلقة وبعضها مقيدة.

الآيات العامة في العفو

وهي ما كانت عامة بالصراحة والظاهر أنّها منحصرة بآية واحدة وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.[الزمر:٥٣]

إنّ عموم هذه الآية يشمل جميع الذنوب حتّى الشّرك لكن مع التّوبة والرجوع إلى الله تعالى والتّسليم له واتّباع أحسن ما أنزله الله تعالى كما دلّت على ذلك الآيات التي ذكرها الله تعالى بعدها وهي قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ (٥٤) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾.[الزمر:٥٤-٥٥]

ومن المعلوم أنّ الإنابة والرجوع إلى الله تعالى واتّباع أحسن ما أنزل من قبله تعالى ماحية للشّرك ذاتاً، وقد جاء عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: «ما في القرآن آية أوسع من ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا﴾». وقد سئل عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ أَخَاصٌّ أَمْ عَامٌّ فقَالَ عليه السلام: «خَاصٌّ هُوَ لِشِيعَتِنَا».(دعائم الإسلام:١/٧٦)

وما يشابه ذلك من جهة ويغايرها من جهة هو قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾.[النساء:٤٨]

عَنْ جَابِرٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى ﴿إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ﴾ قَالَ عليه السلام: «يَا جَابِرُ إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِوَلَايَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام وَطَاعَتِهِ وَأَمَّا قَوْلُهُ ﴿وَيَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ﴾ فَإِنَّهُ وَلَايَةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام ولايته».(تفسير فرات الكوفي:١٠٦)

فإنّ ولاية الله تعالى هي ولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام، فهو صلوات الله وسلامه عليه وليّ الله.

فقبول الولاية هي من الأمور التي تساعد الإنسان على حصول العفو الإلهي، إنّ الله تبارك وتعالى يعفو عن الذين تابوا عن السيئات، والتوبة تأتي من التمسك بالقرآن الكريم وأهل البيت عليهم السلام، فالدخول في ولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام هي بداية التوبة، فإذا تاب الإنسان يشمله العفو الإلهي إن شاء الله.

الآيات المطلقة في العفو

وهي الآيات المطلقة وإنّها كثيرة منها قوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.[البقرة:١٨٢]

هذه الآية هي مرتبطة بتغيير الوصية في الموردين، أحدهما: إذا كانت الوصية مورثة للظلم به بعض الورثة مثل ما إذا حرم بعض الورثة عن الإرث ونحوها.

وثانيهما: إذا كان المورث قد أوصى بحرام، فقد جاء عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية قوله: «إِذَا أَوْصَى الرَّجُلُ بِوَصِيَّةٍ فَلاَ يَحِلُّ لِلْوَصِيِّ أَنْ يُغَيِّرَ وَصِيَّتَهُ يُوصِيهَا، بَلْ يَمْضِيهَا عَلَى مَا أَوْصَى، إِلاَّ أَنْ يُوصِيَ بِغَيْرِ مَا أَمَرَ اللَّهُ فَيَعْصِيَ فِي الْوَصِيَّةِ وَيَظْلِمَ فَالْمُوصَى إِلَيْهِ جَائِزٌ لَهُ أَنْ يَرُدَّهُ إِلَى الْحَقِّ مِثْلُ رَجُلٍ يَكُونُ لَهُ وَرَثَةٌ فَيَجْعَلُ الْمَالَ كُلَّهُ لِبَعْضِ وَرَثَتِهِ وَيَحْرِمُ بَعْضاً فَالْوَصِيُّ جَائِزٌ لَهُ أَنْ يَرُدَّهُ إِلَى الْحَقِّ وَهُوَ قَوْلُهُ ﴿جَنَفاً أَوْ إِثْماً﴾ فَالْجَنَفُ الْمَيْلُ إِلَى بَعْضِ وَرَثَتِهِ دُونَ بَعْضٍ وَالإِثْمُ أَنْ يَأْمُرَ بِعِمَارَةِ بُيُوتِ النِّيرَانِ وَاتِّخَاذِ الْمُسْكِرِ فَيَحِلُّ لِلْوَصِيِّ أَنْ لاَ يَعْمَلَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ». (تفسير القمي:١/٦٦)

فهنا من المعلوم أنّ هذه العملية لا تضر بإطلاق ذيل الآية الكريمة.

ومنها قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.[البقرة:١٩٩]

فعن فُرَاتٌ الكوفي معنعناً عن الْحُسَيْنِ بْنِ عُلْوَانَ عَنْ جَعْفَرٍ عَنْ جَدِّهِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام قَالَ: «قَامَ رَجُلٌ إِلَى عَلِيٍّ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَخْبِرْنَا عَنِ النَّاسِ وَأَشْبَاهِ النَّاسِ وَالنَّسْنَاسِ قَالَ: فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: أَجِبْهُ يَا حَسَنُ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ عليه السلام: سَأَلْتَ عَنِ النَّاسِ فَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله النَّاسُ لأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ وَنَحْنُ مِنْهُ، وَسَأَلْتَ عَنْ أَشْبَاهِ النَّاسِ فَهُمْ شِيعَتُنَا وَهُمْ مِنَّا وَهُمْ أَشْبَاهُنَا، وَسَأَلْتَ عَنِ النَّسْنَاسِ فَهُمْ هَذَا السَّوَادُ الأَعْظَمُ وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾».(تفسير فرات الكوفي:٦٤)

إنّ الله يغفر لمن يتوب ويندم على ذنبه، فالإفاضة هي الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام، فمن اقتدى بهم يغفر الله له ذنوبه.

وقوله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.[الحجر:٤٩]

رُوِيَ أَنَّ سَبَبَ نُزُولِ هذه الآيَةِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله مَرَّ بِقَوْمٍ يَضْحَكُونَ فَقَالَ: «أَتَضْحَكُونَ فَلَوْ عَلِمْتُمْ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ طَوِيلاً»، فَنَزَلَ جَبْرَائِيلُ وَقَالَ: «يَا مُحَمَّدُ رَبُّكَ يُقْرِئُكَ السَّلاَمَ وَيَقُولُ لَكَ ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾».(إرشاد القلوب:١/١٠٩)

وَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيَعْجَبُ مِنْ يَأْسِ الْعَبْدِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَقُنُوطِهِ مِنْ عَفْوِهِ مَعَ عَظِيمِ سَعَةِ رَحْمَتِهِ». و رُوِيَ أَنَّ عَلِيَّ ابْنَ الْحُسَيْنِ عليه السلام مَرَّ بالزهوي [بِالزُّهْرِيِّ] وَهُوَ يَضْحَكُ قَدْ خُولِطَ فَقَالَ: «مَا بَالُهُ»، فَقَالُوا: هَذَا لَحِقَهُ مِنْ قَتْلِ النَّفْسِ، فَقَالَ: «وَاللَّهِ لَقُنُوطُهُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ أَشَدُّ عَلَيْهِ مِنْ قَتْلِهِ».(ارشاد القلوب:١/١١٠)

فينبغي أن يعتمد العبد على حسن الظنّ بالله تعالى فإنه وسيلة عظيمة، وهذه الآية إشارة إلى أن باب التوبة مفتوح في أي وقت، فإنه تعالى العفو الغفور يغفر الذنوب العظام، فكيف بالعبد إذا تاب فيغفر الله له ذنوبه ويكفر عنّه سيئاته، وفي ذلك الفوز بالجنة والرضوان.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.[النور:٢٠]

قيل إنّ هذه الآية جاءت تكريراً للمنّة بترك المعاجلة بالعقاب للدلالة على عظم الجريمة وحذف الجواب

للاستغناء عنه بذكره مرّة ﴿وَأَنَّ اللهَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ حيث لم يعاجل الناس بالعقوبة. (تفسير الصافي:٣/٤٢٧)

فهذا دال على الرحمة الإلهية للبشر، إنّ الله تعالى خلق الإنسان في أحسن تقويم وأعطاه مما لم يعطه لأي مخلوق آخر، فجعله أفضل المخلوقين، لكن هذا المخلوق يقوم بمخالفة الخالق وهذه المخالفة هي تجري على الله تعالى. لكنه سبحانه وتعالى برحمته يمهل البشر وبفضله يرحمه ويغفر له إن كان قد تاب عن ذنوبه، أو كان نادماً على ارتكاب الخطأ والزلات.

ومنها قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾. [النجم:٣٢]

فعن مُحَمَّد بْن أَبِي عُمَيْرٍ عَنْ فَضَالَةَ عَنْ جَمِيلٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ فَقَالَ: «هُوَ قَوْلُ الإِنْسَانِ صَلَّيْتُ الْبَارِحَةَ وَصُمْتُ أَمْسِ وَنَحْوُهُ»، هَذَا ثُمَّ قَالَ عليه السلام: «إِنَّ قَوْماً كَانُوا يُصْبِحُونَ فَيَقُولُونَ صَلَّيْنَا الْبَارِحَةَ وَصُمْنَا أَمْسِ، فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام لَكِنِّي أَنَامُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَلَوْ أَجِدُ بَيْنَهُمَا شَيْئاً لَنِمْتُهُ». (الزهد:٦٦)

وقيل: (قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾ هو ما يلم به العبد من ذنوب صغار بجهالة ثم يندم ويستغفر الله ويتوب فيغفر الله له وقوله: ﴿وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ أي مستقرين). (تفسير القمي:٢/٣٣٨)

لقد قسّم القرآن الكريم الذنوب والآثام قسمان، الكبائر واللّمم، الذي جاء في اللغة العربية (اللمم) بمعنى الصغير من الذنوب، وبعبارة أخرى الصغائر من الآثام والموبقات.

لقد بيّن أهل البيت عليهم السلام الكبائر من الذنوب في كثير من الروايات والأحاديث الواردة عنهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فعن أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾ قَالَ: «الْفَوَاحِشُ الزِّنَى وَالسَّرِقَةُ، وَاللَّمَمُ الرَّجُلُ يُلِمُّ بِالذَّنْبِ فَيَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْهُ»، قُلْتُ: بَيْنَ الضَّلَالِ وَالْكُفْرِ مَنْزِلَةٌ، فَقَالَ عليه السلام: «مَا أَكْثَرَ عُرَى الإِيمَانِ». (الكافي:٢/٢٧٨)

وعَنْ عَبْدِ الْعَظِيمِ الْحَسَنِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: «سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ سَمِعْتُ أَبِي مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: دَخَلَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام فَلَمَّا سَلَّمَ وَجَلَسَ تَلَا هَذِهِ الآيَةَ ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ﴾ ثُمَّ أَمْسَكَ فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللهِ عليه السلام: مَا أَسْكَتَكَ؟ قَالَ: أُحِبُّ أَنْ أَعْرِفَ الْكَبَائِرَ مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ فَقَالَ عليه السلام: «نَعَمْ يَا عَمْرُو أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ الإِشْرَاكُ بِاللهِ يَقُولُ اللهُ ﴿مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾. [المائدة:٧٢]

وَبَعْدَهُ الإِيَاسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ لأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ ﴿إِنَّهُ



﴿لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾.[يوسف:٨٧]

ثُمَّ الأَمْنُ لمَكر الله لأَنَّ الله عَزَّ وَجَلّ يَقُولُ ﴿فَلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾.[الأعراف:٩٩]

وَمِنْهَا عُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ لأَنَّ الله سُبْحَانَهُ جَعَلَ الْعَاقَ جَبَّاراً شَقيًّا، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ الله إلاَّ بِالْحَقِّ لأَنَّ الله عَزَّ وَجَلّ يَقُولُ ﴿فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً﴾.[النساء:٩٣]

وَقَذْفُ الْمُحْصَنَةِ لأَنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ ﴿لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم﴾.[النور:٢٣]

وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ لأَنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ ﴿إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً﴾.[النساء:١٠]

وَالْفِرَارُ مِنَ الزَّحْفِ لأَنَّ الله عَزَّ وَجَلّ يَقُولُ ﴿ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير﴾.[الأنفال:١٦]

وَأَكْلُ الرِّبَا لأَنَّ الله عَزَّ وَجَلّ يَقُولُ ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس﴾.[البقرة:٢٧٥]

وَالسِّحْرُ لأَنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ ﴿ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق﴾.[البقرة:١٠٢]

وَالزِّنَا لأَنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ ﴿ومن يفعل ذلك يلق أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً﴾

وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ الْفَاجِرَةُ لأَنَّ الله عَزَّ وَجَلّ يَقُولُ ﴿الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة﴾.[آل عمران:٧٧]

وَالْغُلُولُ لأَنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ ﴿ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة﴾.[آل عمران:١٦١]

وَمَنْعُ الزَّكَاةِ الْمَفْرُوضَةِ لأَنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ ﴿فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم﴾.[التوبة:٣٥]

وَشَهَادَةُ الزُّورِ وَكِتْمَانُ الشَّهَادَةِ لأَنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ ﴿ومن يكتمها فإنه آثم قلبه﴾.[البقرة:٢٨٣]

وَشُرْبُ الْخَمْرِ لأَنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ نَهَى عَنْهَا كَمَا نَهَى عَنْ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ وَتَرْكُ الصَّلاةِ مُتَعَمِّداً أَوْ شَيْئاً مِمَّا فَرَضَ الله لأَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله قَالَ: مَنْ تَرَكَ الصَّلاةَ مُتَعَمِّداً فَقَدْ بَرِئَ مِنْ ذِمَّةِ الله وَذِمَّةِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله وَنَقْضُ الْعَهْدِ وَقَطِيعَةُ الرَّحِمِ لأَنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ ﴿أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾[الرعد:٢٥]؛ قَالَ فَخَرَجَ عَمْرٌو وَلَهُ صُرَاخٌ مِنْ بُكَائِهِ وَهُوَ يَقُولُ: هَلَكَ مَنْ قَالَ بِرَأْيِهِ وَنَازَعَكُمْ فِي الْفَضْلِ وَالْعِلْمِ. (الكافي:٢/٢٨٦)

لكن يجب على الإنسان أن لا يستصغر الذنوب والموبقات والآثام لأنّها قد تصبح كبيرة فيحجب قلب الإنسان من الرجوع إلى الله تبارك وتعالى، ومن التوفيق للتوبة، فتكون النتيجة عدم العفو الإلهي.

فعن زَيْد الشَّحَّام قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام: «اتَّقُوا الْمُحَقَّرَاتِ مِنَ الذُّنُوبِ فَإِنَّهَا لا تُغْفَرُ»، قُلْتُ: وَمَا الْمُحَقَّرَاتُ؟ قَالَ عليه السلام: «الرَّجُلُ يُذْنِبُ الذَّنْبَ فَيَقُولُ طُوبَى لِي لَوْ لَمْ يَكُنْ لِي غَيْرُ ذَلِكَ». (الكافي:٢/٢٨٧)

وعن عَنْ سَمَاعَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ عليه السلام يَقُولُ: «لا تَسْتَكْثِرُوا كَثِيرَ الْخَيْرِ وَلا تَسْتَقِلُّوا قَلِيلَ الذُّنُوبِ فَإِنَّ قَلِيلَ الذُّنُوبِ يَجْتَمِعُ حَتَّى يَكُونَ كَثِيراً وَخَافُوا الله فِي السِّرِّ حَتَّى تُعْطُوا مِنْ أَنْفُسِكُمُ النَّصَفَ. (الكافي:٢/٢٨٨)

إنّ الاستكثار من الخير هنا المقصود هو أنّ الإنسان يتباهى بنفسه ويأخذه العجب في أعماله الصالحة وعمل الخير ويظن نفسه قد عمل خيراً كثيراً، وليس من باب أنّ يعمل الإنسان خيراً من دون المنّة والعجب، فالدين يحثّ الإنسان على الخير والأعمال الصالحة، وتجنب الأعمال السيئة والمنبوذة.

وعن ثَعْلَبَةَ عَنْ زِيَادٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام:«إِنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله نَزَلَ بِأَرْضٍ قَرْعَاءَ فَقَالَ لأَصْحَابِهِ: ائْتُوا بِحَطَبٍ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله نَحْنُ بِأَرْضٍ قَرْعَاءَ مَا بِهَا مِنْ حَطَبٍ، قَالَ: فَلْيَأْتِ كُلُّ إِنْسَانٍ بِمَا قَدَرَ عَلَيْهِ، فَجَاءُوا بِهِ حَتَّى رَمَوْا بَيْنَ يَدَيْهِ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ، فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: هَكَذَا تَجْتَمِعُ الذُّنُوبُ، ثُمَّ قَالَ: إِيَّاكُمْ وَالْمُحَقَّرَاتِ مِنَ الذُّنُوبِ فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ طَالِباً أَلا وَإِنَّ طَالِبَهَا يَكْتُبُ ما قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمامٍ مُبِينٍ». (الكافي:٢/٢٨٩)

يتبع...

صور من الأخلاق الحسنة

إنَّ الله خلق الإنسان من أجل هدف وحكمة والوصول إلى هذا الهدف يلزم العبور من طرق وعرة وصعبة لا يمكن اجتيازها إلاّ من قوي إيمانه.

قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: ((إنّي بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق)).(مكارم الأخلاق:٨)

وقيل إنّ الإسلام لو لم يأتِ بالخلق الحسن لما كان هناك من يدخل في الإسلام.

فحينما رأت الشعوب أنّ الإسلام جاء بالتسامح وبالخلق الحسن أقبلوا يدخلون في دين الله أفواجاً.

إذن الأخلاق من الدين وهو عبارة عن الصورة الباطنية للإنسان كما أنّ الخَلق بفتح الخاء عبارة عن الصورة الظاهرية للإنسان.

فما يقوم به الإنسان من أفعال ما هي إلاّ إنعكاس للصورة الداخلية وهي الصادرة من ذات الإنسان حسنة كانت أم سيئة وهي تعرف بالأخلاق.

فإنْ كانت الأفعال الصادرة عن الإنسان أفعالاً محمودة وحسنة عقلاً وممدوحة وراجحة شرعاً سميت تلك (خُلقاً حسناً) وإن كانت أفعالاً ذميمة وقبيحة شرعاً أو عقلاً سمّيت (خُلقاً سيئاً).

فمعاملة الناس بالأخلاق الحسنة تكون من خلال التعامل بما يحب الإنسان أنْ يعاملوه به.

وقد ورد في الحديث الشريف: « أَحِبَّ لأَخِيكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِك».[أمالي الطوسي:٥٠٨]

فالتودد والتحبب إلى الناس ومساعدتهم هو جزء من الأخلاق الحسنة.

ولذا ورد في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «حاتم زماننا حسن الخلق، والخلق الحسن ألطف شيء في الدين وأثقل شيء في الميزان».[مصباح الشريعة:٢٥٥]

قال الله تعالى: ﴿ وَما خَلَقْنَا السَّماواتِ وَالأَرْضَ وَما بَيْنَهُما لاعِبِين ﴾.[الأنبياء:١٧]

فبما أنّ الله لم يخلق الإنسان عبثاً بيّن أنّ هناك هدفاً سامياً ومنظوراً راقياً من أجل هذه الخلقة.

قال تعالى: ﴿ وَما خَلَقْتُ الْجِنّ وَالإنسَ الاّ لِيَعْبُدون ﴾. [الذاريات:٥٦]

فقد رسم الله للإنسان نظاماً عقائدياً وعبادياً واقتصادياً وأخلاقياً متكاملاً متوافقاً مع الهدف من خلقه والغاية التي إليها ينتهي ذلك من خلال إرسال الرسل والكتب السماوية.

فالأخلاق وموقعها في حياة الإنسان غير منفصلة عن واقعه مبدأً وغايةً وهدفاً.

فالأخلاق الفاضلة هي التي تحقق للإنسان المعاني الإنسانية الرفيعة وتحيطه بهالة وضاءة من الجمال

والكمال وشرف النفس والضمير والسمو والعزة والكرامة. وليس أثر الأخلاق مقصوراً على الأفراد فحسب بل يسري إلى الأمم والشعوب.

فمن صفات المعصوم القائد والإمام الاتصاف بالخلق الرفيع. وهذه ميزة متجسدة في خلق الأئمة الأطهار عليهم السلام باعتبارهم أصحاب مسيرة كبرى لتركيز الإسلام في أمة جدّهم المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد خرج الإمام الحسين عليه السلام من أجل ترسيخ مبادئ الإسلام الأصيل في الأمة الإسلامية. وقد ملئت كربلاء بالدروس العقائدية والأخلاقية.

فحيناً يسقي العدو بالماء وحيناً آخر يسامحه على فعله وأخيراً يترحم عليه بعد ندامته على فعله السيئ بعد شهادته.

رويَ أنّ أعرابياً من البادية قصد الحسين عليه السلام فسلَّم عليه فرد عليه السلام، فسأله حاجة وقال: سمعت جدك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إذا سألتم حاجةً فاسألوها من أحد أربعة، إما من عربي شريف، أو مولى كريم، أو حامل القرآن، أو ذي وجه صبيح»، فأما العرب فشرفت بجدك، وأما الكرم فدأبكم وسيرتكم، وأما القرآن ففي بيوتكم نزل، وأما الوجه الصبيح فإنّي سمعت جدك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إذا أردتم أن تنظروا إليّ فانظروا إلى الحسن والحسين»، فقال الحسين له: «ما حاجتك؟»، فكتبها على الأرض، فقال له الحسين: «سمعت أبي علياً عليه السلام يقول: قيمة كل امرئ ما يحسنه، وسمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: المعروف بقدر المعرفة، فأسألك عن ثلاث خصال. فإن أجبتني عن واحدة فلك ثلث ما عندي، وإن أجبتني عن اثنتين فلك ثلثا ما عندي، وإن أجبتني عن الثلاث فلك كل ما عندي، وقد حملت إليَّ صرة مختومة وأنت أولى بها»، فقال: سل عما بدا لك، فإن أجبت وإلاّ تعلمت منك، فأنت من أهل العلم والشرف، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم.

فقال الحسين عليه السلام: «أي الأعمال أفضل؟». قال: الإيمان بالله والتصديق برسوله. قال عليه السلام: «فما نجاة العبد من الهلكة؟»، قال: الثقة بالله. قال عليه السلام: «فما يزين المرء؟»، قال: علم معه حلم. قال عليه السلام: «فإن أخطأه؟»، قال: فمال معه كرم. قال عليه السلام: «فإن أخطأه ذلك؟»، قال: فقر معه صبر. قال عليه السلام: «فإن أخطأه ذلك؟»، قال: فصاعقة تنزل عليه من السماء فتحرقه، فضحك الحسين عليه السلام، وأعطاه الصرّة وفيها ألف دينار، وأعطاه خاتمه وفيه فص قيمته مائتا درهم، وقال: «يا أعرابي أعط الذهب إلى غرمائك، واصرف الخاتم في نفقتك» فأخذ ذلك الأعرابي وقال: الله أعلم حيث يجعل رسالته.[مقتل الحسين للخوارزمي:١/١٥٦]

هذه الأخلاق العالية لم تصدر من إنسان عادي، بل هي أخلاق الأنبياء والأوصياء.

ومن أخلاقه (لما التقى الحسين عليه السلام وأصحابه مع الحر بن يزيد التميمي حتى وقف هو وخيله مقابل الحسين في حَرّ الظهيرة والحسين وأصحابه معتمون متقلدو أسيافهم، فقال الحسين لفتيانه: «اسقوا القوم وارووهم من الماء، ورشِّفوا الخيل ترشيفاً».

فقام فتيانه فرشفوا الخيل ترشيفاً، فقام فتية وسقوا القوم من الماء حتى أرووهم، وأقبلوا يملؤون القصاع والأتوار والطِّساس من الماء ثم يدنونها من الفرس، فإذا عبَّ فيه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً عزلت عنه، وسقوا آخر حتى سقوا الخيل كلها.

ولما حضر وقت الصلاة قال الحسين عليه السلام للحر: «أتريد أن تصلي بأصحابك؟». قال: لا، بل تصلّي ونصلّي بصلاتك.[أنساب الأشراف:٣/١٦٩]

نعم، هذه أخلاق الحسين عليه السلام يسقي أعداءه الماء، ويرشف خيلهم اقتداءً بأبيه علي عليه السلام في واقعة صفين عندما استولى عليه السلام على الماء سمح لهم بالسقي والشرب، بعكس معاوية وأصحابه حينما كانوا مستولين على الماء منعوا علياً وأصحابه منه، وهكذا في واقعة الطف لما أمر عبيد الله بن زياد جيش عمر بن سعد بأن يمنعوا الماء عن الحسين وأصحابه وأهل بيته، وقد تم ذلك بالفعل.

بقلم: محمد رزاق صالح

الفرق بين الحمد والشكر

الحمد في اللغة

الحمد في اللغة من حمِدَ يَحمَد، حَمْدًا، فهو حامد، والمفعول مَحْمود وحَميد حمِد اللَّهَ: أثنى عليه وشكرَ نعمتَه: الرَّاضون بقضاء اللَّه، الشَّاكرون لأنعمه والحمد الثناء، وقد أطبق على ذلك العلماء في تعريفه، يقال: حمد الشيء، إذا أثنى عليه.

الحمد في الاصطلاح

فهو: الاعتراف اللساني، الذكر، والقول، والثناء، بحسن وجميل ما صدر من المحسِن. تفصيلاً كان علمنا بحسن ما صدر من المحسن أم كان إجمالاً، وكذلك سواء علمنا بالحكمة المطويّة فيما صدر من المحسن أم لم نعلم؛ لكفاية اليقين الإجمالي بأنّه جميل حسن، وسواء كان مؤلماً أم كان لذيذاً.

وبعبارة موجزة: فالحمد هو الثناء باللسان على ما هو جميل حسن عند المحسن ومنه.

الشكر في اللغة

الشكر: مصدر شكر يشكر، وهو عرفان الإحسان ونشره.

والشكر من اللّه: المجازاة والثناء الجميل.

والشكور:كثير الشكر، والجمع شُكُر، وفي التنزيل: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا﴾ [الإسراء:٣]، وهو من أبنية المبالغة.

أمّا أصل الشكر فهو: تعظيم المنعم قبال ما أنعم، فهو الاعتراف القلبي، أو الإقرار النفسي، أو الإذعان الروحي.

وقد ذكر الطبرسي رضوان اللّه عليه هذا المعنى في



مجمع البيان حيث قال: فالشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم.

وبعد ذلك نستطيع القول: إنّ الحمد أعم من الشكر.

فالشكر لمن أوصل إليك نعمة تحديداً.

والحمد لمن أزدى إليك نعمة أو لم يزدِ إليك نعمة، تحمده على صفاته الذاتية أو الخلقية.

إنما الشكر مقابل النعمة التي أنعمها عليك.

قال تعالى: ﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ﴾[سبأ:١٣] كيف يعملون شكراً؟

لقد ذهب قسم من المفسرين إلى أنّها (شكراً) حال أي اعملوا لأجل الشكر.

وقسم ذهب إلى أنّها مفعول به؛ لأنّ الشكر ليس فقط باللسان وإنما الشكر قد يكون بالعمل.. لو أن الإنسان آتاه الله مالاً ولم يخرج حق الله ولو قال ألف مرة شكراً لله لم يكن شاكراً حتى يؤدي حقه، الشكر ليس هو قول إنّما هو عمل.

وبعد هذا البيان المختصر نستطيع أن نبيّن عدة أمور فارقة بين الحمد والشكر لله جل وعلا منها:

أوّلاً: إنّ الحمد لله، على كل حال؛ فيما أذن به من الخير والشرّ سواء؛ ووجهه: إنّه حسن جميل، ولو كان عاقبة في الآجل وليس في الحاضر العاجل؛ وعليه فهو جميل حسن على كلّ حال؛ غاية ما في الأمر، غياب الحكمة والحسن والمصلحة عنّا في العاجل واليقين بها في الآجل.

وعليه فما أذن به الله تعالى من الشرّ، هو ممّا يحمد عليه سبحانه وتعالى على كلّ حال وقد ورد في الدعاء «الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه».

أمّا الشكر، فلا؛ لكونه تعظيماً لما علم من نعمة المنعم في العاجل والآجل؛ فلا يتعلّق بالشرّ أبداً، فافترقا من هذه الجهة تماماً.

ثانياً: إنّ الحمد ذكر وثناء باللسان، أما الشكر فهو أعمّ من ذلك؛ لكونه تعظيماً وليس ثناءً، وهو لا ينحصر بالقلب والجنان وحسب، فقد يكون التعظيم بالنطق واللسان، وقد يكون بكاءً بالعيون، وتقبيلاً بالشفاه، وخدمة بالأيادي والأركان.

ثالثاً: الغرض من الحمد؛ لدفع تهمة الجحود وهذا يتمّ باللسان، أما الشكر فللإيمان وإزاحة الكفران على ما أمر الرحمن وذكر أهل اللسان.



سؤال: هل يجوز لغةً أن نقول الحمد لله شكراً؟

الجواب: اتفق أهل الأدب واللغة والتفسير والفقه والحديث والعقيدة والأخلاق على ذلك استعمالاً وشرعاً، واختلفوا في تخريجه نحوياً على قولين لا يهم التعرّض لهما.

فجاء في كتاب الكافي عن الشيخ الكليني بسند صحيح عن مُحَمَّد بْن يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ أَبِي إِسْمَاعِيلَ السَّرَّاجِ، عَنْ هَارُونَ بْنِ خَارِجَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ فِي صَلَاةِ الشُّكْرِ: «إِذَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْكَ بِنِعْمَةٍ فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ تَقْرَأُ فِي الْأُولَى بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَتَقْرَأُ فِي الثَّانِيَةِ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ وَتَقُولُ فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَى فِي رُكُوعِكَ وَسُجُودِكَ الْحَمْدُ لِلَّهِ شُكْراً شُكْراً، وَحَمْداً؛ وَتَقُولُ فِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ فِي رُكُوعِكَ وَسُجُودِكَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اسْتَجَابَ دُعَائِي وَأَعْطَانِي مَسْأَلَتِي».

نسأل الله أنْ نكون ممن يحمد الله في السراء والضراء ويشكره على ما أنعم.

بقلم: ضياء قاسم

صدر حديثاً عن قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبــــة الحسينـيــــة المقدســــة





تعلن إدارة مجلة الوارث عن البدء في استقبال البحوث والمقالات العلمية والإسلامية لنشرها ضمن أعداد المجلة القادمة، علماً أن المقالات ستخضع للتقييم العلمي.

يرجى إرسال الأعمال على البريد الالكتروني التالي:

info@imamhussain-lib.org